المشرق

السنة الحادية والستون — ايار – حزيران ١٩٦٧

لغات العالم

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

منذ تبلبلت السن البشر، عند محاولتهم تشييد برج شامخ، تناطح قمته عنان السماء، ما زالت تتنوع وتتكاثر، على توالي العصور، حتى اصبحت كأنها عالم من اعجب العوالم التي ابتدعها عقل الانسان. فلا بدع، والحالة هذه، بكونها قد لفتت منذ القدم انظار العلماء، فجعلوا يقابلون بعضها ببعض، ليكتشفوا ولو شيئاً يسيرًا من اسرار نشأتها وتطورها وتأثيرها المتبادل. وقد اضحى علم اللغات، منذ نحو قرنين، من اسمى العلوم منزلةً واوسعها نطاقاً واشدها تعقدًا، يقف مئات الاختصاصيين النوابغ معظم اعوام حياتهم على استجلاء غوامضه والتمتع بما تجلى لهم، بعد الجهود الجبّارة، من محاسنه الفتّانة.

انما غايتنا في هذه العجالة ان نلخص لقراء المشرق اهم الحقائق الثابتة، المختصة بلغات العالم. وبما ان هذا الموضوع واسع المجال، كثير الشُعب،

رأينا ان نبوّبه تبويباً جامعاً . بقدر الامكان . بين الايجاز والوضوح . لتسهيل فهمه حتى على اقل الناس المّاماً به .

القسم الاول : عدد لغات العالم وانقسامها الجغرافي

تتوهم عامة الناس ان عدد اللغات الحية لا يكاد يتجاوز المئة . اما الحقيقة التي اهتدى اليها اللغويون بعد طول التنقيب ، فهي ان اهل جيلنا — وهم اكثر من ثلاثة مليارات — يتكلمون بنحو خمسة آلاف لسان . منها زهاء ثمانمئة وثمانين لغة ذات آداب . والباقي لهجات عامية . عاطلة عن الادب او متحلية منه بحلية زهيدة . غير خليقة بالذكر . نجد اسماء تلك الخمسة آلاف لغة ، بالترتيب الابجدي ، في ذيل كتاب شهير . الفه بالفرنسية رهط من ائمة اللغويين ، في عصرنا هذا . وعنوانه Les langues du monde (لغات العالم) .

كيف ينقسم ذلك العدد الرائع من اللغات الحية على قارات العالم ؟ في القارات او البلاد القديمة التمدن كثُرت العوامل المفضية الى تقليل اللغات ، ومن اهمها :

١ً زوال القبائل المتوحشة ، المستقلة كل واحدة منها بلسانها ونظامها الاجتماعي واخلاقها وسائر مميزاتها .

٢ً نشأة شعوب كبيرة ، متحضرة ، يعيش ملايين افرادها في التآلف والتعاون ، تحت كنف حكومة واحدة ، مركزية .

٣ً تكثير طُرُق المواصلات وزيادة سرعتها ، مما ادّى الى انماء الاختلاط بين عناصر كل امة ، فازال عنها شيئاً فشيئاً عدة فروق وفواصل ، ومن جملتها اللغوية .

٤ً اضطرار كل من حكومات تلك الشعوب الراقية الى اختيار لغة واحدة رسمية ، اوجبت على جميع رعاياها ان يحسنوا تعلمها في المدارس .

٥ً انتشار انواع المؤلفات في تلك اللغة الرسمية بين كل طبقات الامة ، وقد نتج عن ذلك حتماً تقهقر عدة لهجات عامية او انقراضها الكامل .

بعد ذلك التعليل المفصّل يسهُل علينا ادراك سر انقسام اللغات الادبية وغيرها بين قارات العالم على الوجه الآتي ، بغض النظر عن لهجات تلك اللغات ، لكونها فروعاً قد تفرعت منها . في اوربة القديمة التمدن ، التي

زالت عنها القبائل المتوحشة . نجد نحو مئة وعشرين لغة . بيد ان المانية وايطالية ، اللتين لم يتم فيهما التوحد السياسي الا من نحو قرن ، وكانتا قبلئذ منقسمتين الى عدة دويلات ذات استقلال جزئي او كلي . فلا تزال حية فيهما لهجات عديدة، قليلة الآداب. مع ان اهالي كل ولاية لا يتحادثون بسواها الا في علائقهم مع سكان الولايات الاخرى او مع الاجانب .

اما بقية القارات . الحديثة التمدن . التي ظل اهاليها مدة عصور منقسمين الى مئات قبائل متوحشة ، محرومة سهولة المواصلات ، مع بعد المسافات التي تفصلها . فنجد فيها حتى الآن مئات لهجات ينطق بها كثير من تلك القبائل ، ولو انضوت الى بلاد متمدنة . فلا بدع بأن نجد في اميركة ٤٢٢ لغة ، وفي الهند وحدها زهاء ثلاثمئة ، وفي اوقيانية نحو ١١٧ .

القسم الثاني : طوائف اللغات

الالسن العالم تنقسم الى ثلاث طوائف ، لكل منها مميزات واضحة .

الطائفة الاولى هي اللغات الوحيدة المقاطع في جميع كلماتها غير المركبة، من جملتها لغات سيام ، كمبودج ، بيرمانية وتيبات . لكن اشهرها واشدها انتشارًا هي الصينية . هذه اللغات لا تصريف فيها للافعال والاسماء ، ولا اشتقاق بزيادة سوابق (préfixes) او لواحق (suffixes) او خاتمات (terminaisons) . بما ان عدد المقاطع المختلفة محدود ، نجد في تلك الالسن سلاسل كثيرة من كلمات لفظها واحد ، ويحتوي بعضها ستين كلمة ، اعني مقطعاً واحدًا ذا ستين معنى ، لكل منها رسم مختص به ، وسوف ترى ذلك في كلامنا على كتابة اللغات . قد لجأت الصينية لتسهيل تمييز بعض تلك المعاني في الكلام ، الى اربع لهجات : المنخفضة ، الوسطى ، العالية ، المتعالية من اولها الى آخرها . نضرب مثلاً على ذلك : الكلمة « ما » الملفوظة باللهجة الاولى معناها كتّان ، بالثانية معناها « أم » ، بالثالثة معناها « حصان » ، بالرابعة معناها « موظّف عال » .

الطائفة الثانية هي اللغات الالصاقية ، وهي اكثر الالسن عددًا ، من اشهرها اليابانية ، المجرية ، الفنلندية والتركية . مميزتها ان جذور الكلمات لا تكاد تتغير في التصريف والاشتقاق . هاكم مثلاً من التركية : güzel جميل ، güzellik جمال ، güzellenmek تجمّل .

الطائفة الثالثة هي اللغات التصريفية ؛ مميزتها ان جذور الكلمات تتغير في التصريف والاشتقاق . دونكم مثلاً من الفرنسية : je viens آتي ، nous venons نأتي ؛ je vins اتيتُ .

اللغات التصريفية تنقسم الى ثلاث فصائل .

الاولى هي الفصيلة الهندية الاوربية . المنطوق بلغاتها في آسية الغربية واكثر بلاد اوربة ؛ وهي مشتقة من لغة سماها العلماء الهندية الاوربية نُطق بها قبل التاريخ ، ولم يبق منها ادنى اثر مخطوط .

لهذه الفصيلة عدة فروع ، نذكر بعد كل منها امثالاً عليها .

١ً الفرع الآري (aryen) : السنسكريتية ، البراكريتية .

٢ً الفرع الايراني : الفارسية ، الكردية .

٣ً الفرع الايطالياوي (italique) : اللاتينية والالسن المشتقة منها كالفرنسية ، الايطالية ، الاسبانية ، البرتغالية ، الرومانية (لغة رومانية) .

٤ً الفرع الكلتي (celtique) : البريتونية (breton) ، الارلندية القديمة .

٥ً الفرع الجرماني المنقسم الى ثلاث شُعب ،

الشعبة الشرقية : الغوطية ؛

الشعبة الشمالية : الدانمركية ، الاسوجية ، النروجية ، الاسلندية ؛

الشعبة الغربية : الانكليزية ، الهولندية ، الالمانية .

٦ً الفرع الصقلبي : الروسية ، الروتانية ، البولونيـــة ، البوهيمية ، السلوفاكية ، الصربية ، السلوفانية ، البلغارية .

٧ً الفرع البلطي الصقلبي : الليتوانية ، اللتّونية .

ما عدا تلك الفروع تحتوي الفصيلة الهندية الاوربية بعض لغات قليلة التشابه ؛ اهمها اليونانية ، الالبانية ، الارمنية .

الفصيلة الثانية هي الساميّة ، المشتقة من لغة سماها العلماء الساميّة القديمة ، نُطق بها قبل التاريخ ، ولم يبق لها ادنى اثر مخطوط .

من اكبر مميزات تلك الفصيلة ، كثرة الحروف الحلقية وصيَغ الاسماء والافعال ، والقلة المفرطة في السوابق واللواحق والكلمات المركبة من جذرين متلاصقين مثل « برمائي » المركبة من برّ وماء . الفصيلة السامية تنقسم الى فرعين .

١ً الفرع الشمالي : الاشورية البابلية ، العبرانية ، الفينيقية ، الآرامية مع شعبتيها السريانية والكلدانية .

٢ً الفرع الجنوبي : العربية ، المالطية التي نحو نصف قاموسها مقتبس من الايطالية ، الحميرية المنطوق بها في جنوب شبه جزيرة العرب ، الحبشية .

الفصيلة الثالثة هي الحامية ، ومن اشهر لغاتها المصرية القديمة ، القبطية ، القبائلية .

القسم الثالث : العناصر الجوهرية في اكثر اللغات

الاصوات المختصة بكل لغة

نرى في هذا الشأن تنوعاً شديداً في الالسن . من امثال ذلك ان في العربية وبعض اللغات السامية الاخرى ، الهمزة ، الحاء ، الخاء ، العين ، الغين ، الصاد ، الضاد ، الطاء ، الظاء ، القاف ، بينما اكثر لغات اوربة خالية من معظمها .

مع ذلك نجد الخاء في اللغات الصقلبية وفي الاسبانية ، الالمانية ، اليونانية ، الارمنية ، الفارسية . نجد في الانكليزية الصاد في loss (خسارة) ، الضاد والظاء في gods (آلهة) ، الطاء في hot (سُخن) ، وان لم يكن لها حروف مختصة بها . كذلك نجد لفظ الهمزة والقاف في الدانيمركية . من جهة أخرى لا شين في اليونانية ، ولا راء في الصينية .

النبرة

النبرة هي تشديد الصوت في لفظ مقطع من جميع اهم الكلمات ، ولا سيما الاسماء والافعال . في بعض اللغات كالمجرية تقع دائماً على المقطع الاول ؛ في غيرها كالفرنسية ، على المقطع الاخير . في عدد كبير من الالسن ، كالانكليزية والروسية ، لا قاعدة البتة لمحل وقوعها ، مما يصعّب الى الدرجة القصوى صحة التكلم .

انواع الكلمات العشرة

كل هذه الانواع موجودة في اكثر اللغات ، وقد ميّز النُحاة كلاً منها باسم خاص ، لان الاختلاف الجوهري بين معانيها ووظائفها واضح

كل الوضوح. بيد ان سيبويه. إمام النحاة العرب، الذي لا نزال تابعين طريقته بحذافيرها، مع انه قد تُوفي سنة ٧٧٠، من نحو اثني عشر قرناً: لم يميز كثيراً من تلك الانواع. ومن ثم لم يضع لكل منها اسماً خاصاً. فتحتم علينا الاقدام على وضعه في هذه المقالة.

النوع الاول: اداة التعريف والتنكير (article)

لا توجد هاتان الاداتان في بعض اللغات كاللاتينية والروسية. في غيرها كالفرنسية، تسبقان الاسم. وفي الارمنية تلحقان الموصوف في عدة احوال. في العربية والانكليزية تسبق اداة التعريف، بدون تغير منوط بالجنس والعدد. اداة التنكير في لساننا — وهي التنوين — تتبع المفرد وجمع التكسير من الاسماء المنصرفة: بدون تغير ايضاً. في الالمانية اداة التعريف تتصرف ولها في المفرد ثلاثة الفاظ للمذكر والمؤنث والحيادي (neutre).

النوع الثاني: الموصوف (substantif)

١ً جنس الموصوف — عدة لغات، كالانكليزية والتركية والارمنية: لا تميز المذكر والمؤنث الا في الناس والحيوانات. بيد ان اكثر لغات اوربة وعدداً كبيراً من سواها قد جعلت لكل نبات او جماد جنساً اصطلاحياً منهما: بل نجد في الالمانية والروسية وغيرهما جنساً ثالثاً يُدعى حيادياً. في الدانمركية والاسوجية جنس مشترك للمذكر والمؤنث وجنس حيادي.

٢ً عدد الموصوف — في بعض اللغات كالمدغسكرية: لا صيغة تحول المفرد الى جمع. بيد اننا نجد المفرد والمثنى والجمع في العربية والليتوانية. للجمع علامات مختلفة في اكثر لغات اوربة. وهي قائمة بتغيير آخر المفرد. اما جمع التكسير — وهو من اشد صعوبات العربية — فاننا نجده في عدد غير زهيد من الكلمات البريتونية من امثال abostol (رسول): التي جمعها ebestel.

٣ً تصريف الموصوف — نجده لا في العربية فقط، حيث له ثلاثة احوال، الرفع والنصب والجر: بل في اكثر لغات اوربة: ولا سيما الروسية: حيث له ستة احوال.

النوع الثالث : النعت (adjectif qualificatif)

١ً جنس النعت — لا جنس للنعت في عدة لغات كالانكليزية والتركية والارمنية . وله جنسان او ثلاثة في اكثر لغات اوربة وعدد كبير من سواها التي جعلت لكل نبات او جماد جنساً اصطلاحياً ؛ في تلك الالسن يتفق النعت والموصوف في الجنس .

٢ً عدد النعت — لا علامة جمع للنعت في عدة لغات ؛ وهو يتفق مع الموصوف في التثنية والجمع في كثير من الالسن الاخرى .

٣ً محل النعت بالنسبة الى الموصوف المنعوت — النعت سابق في عدة لغات كالانكليزية والالمانية . لاحق في الفارسية ؛ سابق او لاحق وفقاً للسماع . اي بدون قاعدة مطردة ، في الفرنسية .

النوع الرابع : الضمير (pronom)

الضمير : كما حدده اللغويون : هو كلمة تنوب مناب الموصوف . وقد ميزوا من ثم عدة اجناس من الضمائر ، نجدها في مئات الالسن .

١ً الضمير الشخصي : النائب عن شخص المتكلم او المخاطب والغائب . اصحاب لغة الضاد لم يميزوا غيره في انقيادهم المفرط لسيبويه . في عدة لغات كالتركية والارمنية والفارسية ؛ لا فرق بين المذكر والمؤنث في ذلك الضمير على وجه الاطلاق ؛ وفي اكثر اللغات الاوربية لا يوجد ذلك الفرق الا في ضمير الغائب .

٢ً الضمير الاشاري (démonstratif) ينوب عن الموصوف بواسطة الاشارة اليه . هو ايضاً موجود في العربية : كما في قولنا : « افضّل هذا على ذلك . »

٣ً الضمير الامتلاكي (possessif) ينقص العربية ؛ وهو من حُلى أكثر لغات اوربة وغيرها ؛ هاكم مثلاً من الفرنسية : ma maison et la tienne (بيتي وبيتك) .

٤ً الضمير الموصول (relatif) ؛ الذي نسميه اسماً موصولاً ؛ ينوب مناب الموصوف بواسطة الصلة التي تحدد معناه ، كما ترى في هذا المثل : الكتاب الذي طبعتُه .

٥ً الضمير الاستفهامي موجود عندنا ايضاً : كما يتضح من هذه الجملة : من زارك ؟

٦ً الضمير المبهم (indéfini) ينوب عن الموصوف : حتى في غير الاستفهام . بدون ادنى تعيين له . تجده في هذه الجملة العربية : ما زارني اليوم احد .

النوع الخامس : الفعل

قد ميّز نُحاة مئات اللغات : في الفعل ، ما لم يميزه على وجه مطّرد سيبويه في الفعل العربي : نعني الكيفية (le mode) والزمن . الكيفية تضيف الى معنى الفعل صيغة مختصة بها . هاكم الكيفيات الموجودة في اكثر الالسن . وقد تحتم علينا ان نضع لها اسماء غير مأنوسة في لغتنا : حيث توجد جميعها .

١ً الكيفية الاخبارية (indicatif) تخبرنا بمجرد حدوث فعل في الماضي او الحاضر او المستقبل . العربية تعبّر عنها في الغالب بالفعل الماضي وبالمضارع المرفوع (كتبتُ : اكتبُ : ساكتب) .

٢ً الكيفية الشرطية (conditionnel) تعني في اصلها ان حدوث فعل منوط بتمام شرط ، وكثيرًا ما تعبر عنها العربية بالمضارع المجزوم (إن تدرسْ تنجحْ) .

٣ً كيفية الامر : وقد ميزها سيبويه .

٤ً كيفية التبَعية (subjonctif) تدلّ على ان الفعل ليس مستقلاً في تركيب الجملة : بل تابعاً لفعل آخر او لموصوف او لنعت ؛ في الغالب تعبر عنها العربية بالمضارع المنصوب (اريد ان تساعدَني ؛ رغبتي في ان اهاجر ؛ هو جدير بأن يُكرم) .

النوع السادس : المشترك (participe)

قد ميزه نحاة اشهر اللغات عن سائر انواع الكلمات ، لانه هو وحده مشترك في معاني الفعل والموصوف والنعت . يقابله في العربية اسما الفاعل والمفعول . هاكم مثلاً على ثلاثة معاني اسم الفاعل في لغتنا : رأيتك كاتباً مقالتك (وانت تكتبها) ؛ هو كاتب مشهور ؛ الآلة الكاتبة .

النوع السابع : المتقدمة (préposition)

هي كلمة توضع بين كلمتين من نوع واحد او نوعين : مع اختلاف وظيفتيهما في الجملة : للدلالة على العلاقة بينهما . نراها في الغالب بين الفعل والموصوف (خضع لامري) ؛ او بين موصوفين (الشفقة على الفقراء) او بين نعت وموصوف (نظيف في ثيابه) . في عدة لغات كالمجرية والتركية تقع تلك النقطة على الاكثر بعد الكلمة الثانية ؛ فتسمى متأخرة(postposition). لم يميز سيبويه المتقدمات في العربية ؛ مع انها كثيرة عندنا ؛ منها احرف الجر ؛ ومنها عدة اسماء (قبل ؛ بعد ؛ فوق ؛ تحت ؛ امام ؛ وراء ؛ بين ؛ نحو الخ) .

النوع الثامن : الواصلة (conjonction)

هي كلمة تصل جملتين (زارني صديق فأطال زيارته) او كلمتين متجانستين بالنوع والوظيفة (خلق الله الروح والمادة ؛ هو غني وكريم) . يتضح من ذلك التحديد كون الواصلة تختلف كل الاختلاف عن المتقدمة او المتأخرة .

النوع التاسع : الظرفية (adverbe)

هي كلمة مبنية في الغالب ؛ تضاف الى فعل واحياناً الى نعت ؛ للدلالة على ظرف متعلق به : الزمان ؛ المكان ؛ الكمية ؛ الكيفية الخ . ليس لذلك النوع اسم خاص في العربية ، مع كثرة وجوده فيها ؛ كما ترى في هذه الامثلة : امس ؛ هنا ؛ جداً ، رويداً . بيد ان لغتنا خالية من لاحقة (suffixe) موجودة في لغات عديدة ؛ لتحويل النعت الى ظرفية الكيفية ، وهي ment في الفرنسية (aimablement بلطف ؛ من aimable لطيف) .

النوع العاشر : الهتافية (interjection)

الهتافية كلمة مبنية ، وكأنها في الغالب صيحة تعبر عن ثوران العواطف الشتى ، وقد اخطأنا بتسميتها اسم فعل . دونكم بعض الامثلة عليها : أف ؛ آه ؛ اوّاه ؛ زه .

ترتيب الكلمات في الجملة

هذا الترتيب شديد الاختلاف بين لسان وآخر . لكنه امرن واكثر تنوعاً في اللغات التي تصرّف اسماؤها : كاللاتينية . على كل حال يجب تمييز نوعين جوهريين من ذلك الترتيب .

الاول هو المنطقي المؤسس على موضوع الجملة . فيه تأتي القضية الاصلية (proposition principale) قبل القضية التابعة لها (subordonnée) . وفي كل قضية يأتي الفاعل او المبتدأ ، ثم ملحقاته كالنعت والمضاف اليه ، ثم الفعل ، وتليه توابعه كانواع الظرفيات والمفعولات . اليكم مثلاً على ذلك الترتيب : اظن ان ابا صديقك ضرب اخا الطفل الذي يتنزه في البستان . نجد هذا التنسيق ، مع بعض الفوارق العرضية في اللغات السامية وفي اكثر الهندية الاوربية .

النوع الثاني هو الترتيب المنطقي بالتدرج الصاعد المبني على درجة اهمية القضايا والكلمات . هنا توضع القضية التابعة قبل الاصلية ، وفي كل قضية تسبق كلَّ كلمة توابعُها . ويأتي الفعل في الموضع الاخير . نجد ذلك التنسيق في التركية .

ذانك النوعان من الترتيب هما بمثابة الحدين الاقصى والادنى لكل انواع تنسيق عناصر الجُمل في جميع لغات العالم.

القسم الرابع : كتابة اللغات

كل انواع تلك الكتابة تنقسم الى اثنين جوهريين .

النوع الاول الكتابة الفكرية (idéographique) : وهي التي ليست لها حروف ابجدية تدل على لفظ الكلمات المركبة منها ، بل رسوم اصطلاحية ، يدل كل منها على معنى من المعاني ، مثل الارقام المستعملة في العربية وغيرها المستخدم في اشهر لغات العالم . في نشأتها كانت الكتابة الفكرية رسوماً مختصرة لمعانيها الحسية ، نعني الاشياء الواقعة تحت الحواس ، ورسوماً رمزية للمعاني المجردة ، فالعين المفتوحة تدل على العلم . هكذا كانت الكتابة الهيروغليفية عند المصريين القدماء . ثم تطورت شيئاً فشيئاً ، وصارت رسوماً عديدة تدل ، لا على معنى كلمة ، بل على لفظها .

بيد ان الكتابة الصينية لم يطرأ عليها ذلك التطور منذ عشرات القرون ،

وهي تحتوي نحو اربعين الف رسم ؛ كل منها تقريباً ذو عنصرين ؛ الاول — واسمه مفتاح — يدل على جنس معنى الرسم ؛ والثاني تكملة لتلك الدلالة المبهمة . من امثال ذلك ان كل رسم يعني شجرة ؛ فيه المفتاح الموجود في كل رسوم الاشجار ؛ مع التكملة المختصة بتلك الشجرة دون سواها . عدد المفاتيح ٢١٤ .

مع ان اليابانية شديدة الاختلاف عن الصينية . قد اقتبس اصحابها كل رسوم الكتابة الصينية ؛ ومن نتائج ذلك استحالة التفاهم بالكلام بين الياباني والصيني ؛ مع سهولته الكاملة بالكتابة .

النوع الثاني من الكتابة هو اللفظي ، المؤسس على حروف ابجدية ؛ يدل كل منها على صوت معين ؛ بسيط او مركب .

اول ابجدية مقطعية — نعني ان كل حرف منها يدل على مقطع — قد ظهرت في ليدية . من ولايات آسية الصغرى ؛ فاتخذها الفينيقيون ونشروها ؛ فنشأت منها ابجديات اكثر اللغات السامية ؛ ولا سيما العبرانية والآرامية والعربية .

اما اول ابجدية تدل حروفها على الحركات (voyelles) والسواكن (consonnes) . فقد وضعها اليونانيون . ومنها نشأت ابجديات لغات اوربة ، ولا سيما الابجديتين اللاتينية والروسية .

قد تغيرت ابجدية عدة لغات بأمر حكامها ؛ هكذا نبذت رومانية الحروف الروسية في القرن الاخير ، وانابت منابها اللاتينية . ومن نحو خمسين عاماً ابتدع مصطفى كمال اتاتُرك ابجدية مقتبسة من اللاتينية ، مع عدة اضافات وتحويلات ؛ وفرضها على جميع اهل تركية لكتابة لغتهم .

فضلاً عن تلك الفروق الجوهرية في انواع كتابة اللغات ، نجد بينها اختلافاً عرضياً في اتجاه الكتابة . كل السن اوربة تُكتب من الشمال الى اليمين ؛ واكثر اللغات السامية من اليمين الى الشمال ؛ وجميع تلك الالسن تُكتب على اسطر افقية . اما الصينية فانها تُكتب من اليمين الى الشمال ؛ وكل سطر متجه من اعلى الصفحة الى اسفلها .

على توالي العصور يتغير لفظ آلاف كلمات من كل لغة ؛ خصوصاً باهمال حرف او اكثر من آخرها ؛ اما الكتابة فلا تكاد تتغير لكونها مقيدة في ربوات الكتب ، ومن ثم قد الفتها العيون ، فهي تنفر اشد النفور من ادنى تطور في شكلها . قُبيل سنة ١٩٢٤ قد حسب بعض الخبراء

الرياضيين ان من ١٠٨ ميليارات الحروف المطبوعة مدة عام واحد في جرائد فرنسة ومجلاتها ، يوجد نحو ١٤ ميليار حرف لا يُلفظ قطعاً : فنتجت عن ذلك خسارة ٣٢ مليون فرنك . وفقاً لقيمتها في ذلك الوقت .

القسم الخامس : تطور اللغات

قد اثبت الاختبار ان قاموس كل لغة لا يزال يتطور على وجه بطيء ، بفناء عدة كلمات يقل استعمالها ، فتصبح مماتة ، وبنشأة الفاظ جديدة من وضع الادباء والعلماء ، بل من ابتداع عامة الشعب . ذلك التطور تزيد سرعته وعمقه زيادة شديدة في عدة ظروف . نكتفي بذكر اثنين منها .

اذا فتح قوم بلداً واستولى عليه مدة عصور ، فلا بد ان تتسرب شيئاً فشيئاً مئات كلمات من لغته في لغة البلد الخاضع لسلطته . نرى ذلك في اللغتين الاسبانية والبرتغالية . فقد اقتبست كل منهما نحو الف كلمة من العربية ، بعد استيلاء العرب على قسم كبير من بلدَي اصحابها . كذلك قد حكم الاتراك زهاء اربعة قرون على البلاد البلقانية — وهي بلغارية ، صربية القديمة ، رومانية ، البانية ، اليونان — فتسرب نحو الف كلمة تركية ، منها مئات عربية الاصل ، في قاموس كل لغة من لغات تلك البلاد .

من جهة اخرى اذا هاجر قوم الى بلد بعيد عن وطنه ، تطورت لغته في مهجره غير تطورها في موطنه ، وذلك بسرعة غريبة . لم يمض اربعة قرون على مهاجرة بضعة آلاف ارلنديين الى البلد الذي صار الولايات المتحدة ، ونرى الآن اختلافاً شديداً بين الانكليزية والاميركية ، بحيث امكن طبع قاموس اميركي انكليزي يحتوي مئات صحائف .

قد جرى مثل ذلك ، على الاخص في القرنين الاخيرين ، للعربية الفصحى ، بعدما زاد انتشارها في الشرق الادنى وشمال افريقية ، من الخليج الفارسي الى المحيط الاطلسي . فلا بدع بكون قاموسها المصري مشحوناً بآلاف كلمات وتراكيب مختصة بادباء مصر ، وقد عُني بجمع اكثرها المستشرق الالماني الشهير هنس ڤار (Hans Wehr) ، في قاموسه العربي الالماني ، الذي ظهرت طبعته الثانية ، بدون ادنى اختلاف عن الاولى ، سنة ١٩٥٦ . بيد ان مؤلفه قد ضل ضلالا فاحشاً بتسميته « قاموس اللغة العربية المكتوبة في ايامنا » .

القسم السادس : وحدة اصل جميع اللغات

الالسُنية او علم الالسن حديث النشأة ؛ فقد ظهر في اواخر القرن الثامن عشر . على كل حال ؛ بعدما تقدم بسرعة واثبت بالبراهين الدامغة قرابة جميع اللغات الهندية الاوربية ، مع شدة الاختلاف الموجود بينها ؛ لم يخطر ببال اكبر اللغويين ان يحاول البحث العلمي العميق عن وحدة اصل جميع لغات العالم ، البالغ عددها خمسة آلاف ونيفاً . ذلك البحث الجبار قد وقف عليه اللغوي الايطالي النابغة ترومبتي (Trombetti) عشرات الاعوام . درس فيها اقدم الكلمات ؛ ولا سيما اسماء بعض المعادن والنباتات والحيوانات ، في مئات من الالسن . فتأكد له ان اسماء كل منها يمكن ترتيبها في سلسلة تُبدي من اولها الى آخرها شبهاً واضحاً بين حلقاتها المتقاربة ، واختلافاً شديداً اذا طال البون بين الحلقات . بعدما اكتشف مئات من تلك السلاسل ؛ قد اهتدى الى الحقائق التالية .

١ً كل اللغات مشتقة من اصل واحد .

٢ً لغات افريقية الجنوبية هي اقدم الالسن ؛ قد نشأت من نحو خمسة عشر الف سنة . ثم ظهرت اللغات الحاميّة والسامية ، من زهاء ثمانية آلاف عام ؛ واخيراً اللغات الهندية الاوربية ، من نحو اربعة آلاف سنة .

لو كان عمر اقدم اللغات اكثر جداً من خمسة عشر الف عام ، لزال كل الزوال التشابه الموجود بينها . المقارنة بين اللغات الهندية الاوربية ، المعروف عمر كل منها بدقة غير زهيدة ، تُثبت مدى الاختلافات التي طرأت عليها بعد مرور اربعين قرناً .

٣ً المركز الجغرافي لجميع اللغات واقع ، على الارجح ، بين جبال قفقاس وانجاد تيبات ؛ وهذه في آسية الوسطى .

القسم السابع : بعض الصفات العرضية في اللغات

١ً فرط كثرة الكلمات الدخيلة في عدة لغات — بعد فتح غليوم دوق نرمندية لانكلترة سنة ١٠٦٦ ، صار نحو نصف قاموس الانكليزية مقتبساً من الفرنسية ؛ في التركية العصرية نجد آلاف كلمات من الفرنسية ، ومثل ذلك العدد من العربية ، وآلافاً اخرى من الفارسية .

٢ً ضخامة اللغات او خشونتها — كل اللغات ، مهما خشُن لفظها ، رخيمة في آذان اصحابها ؛ لانهم قد الفوها منذ نعومة اظفارهم . فكلامنا

هنا عن الرخامة والخشونة الموضوعيتين . اللتين يشعر بهما فوراً الاجنبي .
الرخامة ناجمة عن عدة عوامل ، هاكم بيان اهمها :

الاول كثرة الحركات (voyelles) الرخيمة ، من امثال a, e, i, o, ou في الفرنسية . ولا سيما الواقعة في آخر الكلمات . وعدم وجود الغُنّات . التي مخرجها الانف .

الثاني خلو اللغة من السواكن الحلقية ، والتواتر المعتدل في ظهور الزاي والسين والشين وامثالها .

الثالث قلة تتابع السواكن التي لا تتوسطها حركة .

من ارخم اللغات الايطالية ، الاسوجية ، الكُرواطية ، الرومانية ، التركية ، اليابانية . من اخشنها الانكليزية ، الروسية ، البولونية ، المجرية ، العربية ، الارمنية .

القسم الثامن : اللغة الدولية

التقارب المادي بين شعوب العالم قد بلغ في جيلنا درجة عالية جداً . بتكاثر السكك الحديدية ، البواخر ، السيارات والطيارات . وقد نتج عنه ، بشدة انتشار اجهزة المواصلات اللاسلكية — واهمها المذياع (الراديو) والتلفزيون — انواع التقارب الروحي في جميع الميادين : السياسي ، التجاري . العلمي ، الادبي ، الفني الخ .

بيد ان ذلك التقارب المزدوج لا يبلغ اوج الكمال الا بواسطة لغة دولية اضافية ، يتفق على اختيارها اعظم الدُول ، ثم يُفرض درسها بضعة اشهر فقط في جميع المدارس الثانوية .

لا يمكن اتخاذ لسان حي بصفة لغة دولية ، وذلك لسببين واضحين . الاول هو شدة صعوبة التعمق في درس ذلك اللسان ، مع كثرة مواد الدراسة العصرية . الثاني هو ان الدولة التي تُختار لغتها ، تكسب نفوذاً شديداً لا يرضاه لها سائر الدول . فمن ثم لا مندوحة عن ايجاد لغة دولية اصطلاحية . اما المزايا التي يجب ان تزدان بها فهي الآتية .

١ً ان تكون ابجديتها لاتينية ، بدون اضافة ادنى علامة فوق الحروف ولا تحتها ، وذلك لتسهيل الكتابة والطبع .

٢ً الا يوجد بين حروفها ما يستصعب لفظه امدن شعوب العالم .

٣ً ان تكون كتابة كل كلماتها كاملة المطابقة للفظها .

٤ً ان يكون كل جذر من جذور كلماتها على اشد الشبه لما يقابله في اكثر لغات العالم انتشاراً وهي الانكليزية ، الالمانية ، الفرنسية ، الاسبانية ، الايطالية ، الروسية . قد دُعي ذلك الشرط « الدُولية الكبرى » (le maximum d'internationalité).

٥ً الا يطرأ على جذورها ادنى تغير في تصريف الافعال وفي الاشتقاق.

٦ً ان تجاري اغنى اللغات بكثرة الكلمات ، ولا سيما العلمية ، وبكثرة السوابق (préfixes) واللواحق (suffixes).

٧ً ان تكون قواعد صرفها ونحوها باعلى درجة من البساطة والسهولة ، بدون شواذ البتة ، وعلى اتم المطابقة لمبدإ الدولية الكبرى.

٨ً انّ يكون معنى كل تعبير من تعابيرها على غاية الوضوح ، مساوياً لمجموع معاني كلماته ، بعيداً كل البعد عن آلاف التعابير المختصة بكل لغة حية ، التي لها معنى اصطلاحي لا يتضح من معاني كلماتها ، ومن جملتها في العربية « رجع بخفّي حُنين ».

كل المزايا السابق بيانها تزين اللغة الدولية الايدية (Ido)، التي انتشرت في ارقى بلاد العالم ، بين فئة من ذوي الثقافة الثانوية ، بل الجامعية ، وقد ابتدعها سنة ١٩٠٧ المركيز لويس ده بوفرون (de Beaufront) العالم الكاثوليكي الفرنسي . في تشرين الاول من ذلك العام اجتمعت في باريس لجنة مؤلفة من اشهر اللغويين الاوربيين ، لحل مشكلة اللغة الدولية على وجه علمي ونهائي . في اثناء ثماني عشرة جلسة طويلة ، القوا نظر الانتقاد على نحو عشرين لغة اصطلاحية معروضة لفحصهم ، فوقع اختيارهم على الايدية .

منذئذ قد طُبع في هذه اللغة مئتا كتاب ونيّف . سنة ١٩٦٤ طبعنا اول كتاب عربي في قواعد الايدية ، وهو يحتويها مع عدة تمارين عليها ، في ثلاثين صفحة ، لا غير . يباع في المكتبة الشرقية ببيروت (بقرب ساحة النجمة) .

القسم التاسع : بعض الشؤون المختصة باللغات

١ً الفرق بين اللغوي (linguiste) والكثير اللغات (polyglotte) — اللغوي يعرف لغة واحدة او عدة السن معرفة علمية تشمل صرفها ونحوها وقاموسها وما فيه من انواع الكلمات الدخيلة . مع ذلك يمكن ألا يستطيع القراءة والكتابة والتكلم في غير لغة بلاده . اما الكثير الالسن ، فمعرفته لها

ليست علمية بل عملية ، بحيث يستطيع ان يقرأ ويفهم لغات عديدة ، وفي الغالب ان يكتب ويتكلم بعضها على الاقل .

اشهر النوابغ من الفريق الثاني هو الكردينال الايطالي يوسف ميتسوفنتي (Mezzofanti) ، المتوفى سنة ١٨٤٨ . وهو ابن ٧٧ عاماً . كان قُبيل موته يستطيع قراءة نحو ثمانين لغة . والتكلم بزهاء ثمان وخمسين منها .

الكاهن الكاثوليكي الانكليزي وليم كنت William Kent (†١٩٣٥) كان يعرف اربعة وخمسين لساناً . في الحرب العالمية الاولى كان يترجم لحكومة بلاده معلومات ثمينة واردة من مستعمراتها .

الكاهن الكاثوليكي الشاكوسلوفاكي كودلكا Koudelka ، المولود حول سنة ١٨٦٠ ، كان يعرف اربعاً وثلاثين لغة ، وقد ترجم في لغته كثيراً من بدائع آداب الالسن التي درسها . بلغ عدد مؤلفاته زهاء خمسين .

٢ً الذاكرة البصرية والذاكرة السمعية في درس اللغات — ان من يدرس لغة بمجرد القراءة ، يقوي فيها ذاكرته البصرية ، فيفهم معاني آلاف الكلمات فور رؤيتها . بيد انه لم يمرن قطعاً ذاكرته السمعية ، فاذا اصغى الى حديث من يتكلم بتلك اللغة ، لم يفهم منه سوى الفاظ قليلة ، بل لم يدرك اين بدؤها ونهايتها . بعكس ذلك ، من يدرس لغة بمجرد السمع ، يفهم الناطقين بها ، ويظل عاجزاً عن قراءتها .

٣ً الكتاب المترجم دون سواه في اكثر من الف لغة — هو ، بلا شك ، الانجيل المقدس . البرهان القاطع على ذلك ان شركة التوراة الانكليزية والاجنبية (British and foreign bible society) ، التي مركزها في لندن ، قد طبعت هي وحدها الانجيل في الف لغة ونيف .

قال شاعر عربي عن الاله القيوم ، الخالق ، الفائق كماله كل ادراك :

وفي كل شيء له آيةٌ تدل على انه الواحد !

فما عسى ان نقول عما يتجلى لنا من آيات حكمته وقدرته وحنانه ، في موهبتي العقل والكلام اللتين جاد بهما على البشر ، فكتّتاهم من ايجاد خمسة آلاف لغة ونيّف ، كلها من اصل واحد ، وهي في مجموعها ، وبغض النظر عن بدائع آداب مئات منها ، عالم بعيد الحدود ، مفعم بانواع العجائب والغرائب ، لم يستطع نوابغ اللغويين ، طول حياتهم ، سوى ارتياد جزء زهيد من ارجائه الفسيحة ؟

كتاب كشف الغايات

في شرح ما اكتنفت عليه التجليات

(شرح)[٧١٦] تجلي ريّ التوحيد

LXVIII

بقلم عثمان اسماعيل يحيى

---

(٣٦٠) «لما غرقنا مع الجنيد في لجة التوحيد ومتنا لمّا شربنا فوق الطاقة» اي لما ورد علينا من الهبات الذاتية فوق وسع استعدادنا : كما تقدم ذكره في تجلي بحر التوحيد :– «وجدنا عنده شخصاً كريماً» اي

---

٧١٦) املاء ابن سودكين . «ومن تجلي رى التوحيد ؛ وهذا نصه . «لما غرقنا مع الجنيد ....فتحقق هذا التجلي ؛ يا سامع الخطاب ! » . – قال جامعه ؛ المستجلي لهذه البروق الالهية ؛ اللامعة من مباسم ثغور الشهوانية : سمعت شيخي يقول في اثناء شرحه هذا التجلي ما هذا معناه . «لما غرقنا مع الجنيد ؛ ومتنا لما شربنا فوق الطاقة» ، اي كان الوارد اقوى من المحل ؛ «فمتنا» اي فارقنا عالماً من العوالم؛ فوجدنا عنده يوسف بن الحسين وكان يقول : لا يروي صاحب التوحيد الا بالحق ؛ فقبلته ! والقبلة اعطاه علم خاص بضرب من المحبة والشدة . فروي لما سقيته شربة واحدة . فعلم من ذلك ان الحق لا يروى به ابداً . لانه – تعالى ! – ليس له غاية . فكل ما اعطاك تجلياً اخذته منه وطلبت الغاية ، والغاية لا تدرك. فلا ري من حيث تجلي الحق . وانما نروى من الحق ، لا بالحق . – وقد [الاصل : وهو وكذا نسخة برلين والتصحيح ثابت في مخطوط ڤيينا] يتجلى [الاصل : تجلى ونسخة برلين بتجلى والتصحيح من نسخة ڤيينا] العارف الكامل على من هو دونه في المرتبة لانه يمده [الاصل : لانه يده ، ونسخة برلين : ليمده والتصحيح من نسخة ڤيينا] لوجود المناسبة بين الذاتين فيغمره من جميع حقايقه فيرويه . وذلك عند تقبيل الشيخ له ؛ فلما [الاصل : فما ؛ والتصحيح ثابت في نسختي برلين وڤيينا] روى ؛ قال له : اتبلك أخرى ! فقال : رويت . – وقد رتب القوم في اصطلاحهم مراتب : الذوق ثم الشرب ثم الري . وعند المحققين : انه ليس للتوحيد ذوق ولا شرب ليتصف بالري . والذي يتصف بالري والشرب انما [الاصل : فانما وكذا نسخة برلين والتصحيح من نسخة ڤيينا] هو تقصور الشارب لكونه لم ير [الاصل : يرى] غاية بقيت له يشتاق اليها . فالتوحيد ليس له ري من كونه دلالة على الذات ، لكن له ري من حيث توحيد الاسماء من كونها تدل على معنى زايد . اذ للاسماء مرتبتان في التوحيد : كما تقدم . فاذا انتهيت في مرتبة اسم ما : فقد رويت من ذلك الشرب . ولهذا [الاصل : فلهذا والتصحيح من نسختي برلين وڤيينا] انتقل [الأصل : ان انتقل والتصحيح من نسختي برلين وڤيينا] الى مرتبة اسم آخر ؛ فكان [الاصل : لكان ، مخطوط برلين : كان والتصحيح في نسخة ڤيينا] الانتقال في مراتب الاسماء . وهذا توحيد الاسماء من كونها تدل على امر زايد . – وقوله : «نصبت معراج الرقى .... » . – قال رضي الله عنه : فالذي عند الاكثرين ان

مُكَرَّماً بما ظهر عليه من آثار الكمالات الغائية . « فسلمنا عليه وسألنا ا عنه » بلسان التعارف الاصلي ، سؤال ب العارف به . « فقيل لنا » من طريق السر : « هو يوسف بن الحسين[٧١٧] . وكنت قد سمعت به . فبادرت اليه وقبلته » تقبيل المتحابين . —

(٣٦١) والتقبيل انما يعطي شرباً خاصاً بضرب من المحبة والمودة. عند امتزاج ريقيهما ، وذوقاً خاصاً وعلماً بما بينهما من الاتحاد المعنوي والاتصال الصوري . لا سيما عند امتزاج نَفَسَيهما حالة التعانق والتقبيل ، وامتداد كل من النَّفَسَين جزءاً بحكم الامتزاج ، وانتهاء كل منهما من باطن قلب كلٍّ من المتحابين الى باطن قلب الآخر . بل من عندية المُقَبَّل

المعراج اليه ومنه ، اي هو عين البداية وهو عين النهاية . واما (المعراج) « فيه » ، فما كان عندهم (منه خبر !) و (المعراج) « فيه » هو العروج الى الحق في الحق بالحق . فهو عين السفر ، لكونه البداية والغاية والسفر . فهو « الكل » . ولما كان الترقي هو الأصل ، كان مصحوبك في الترقي « فيه » : من البداية الى النهاية . فلو كانوا عرفوا « فيه » ما سلكوا ، لكونهم كانوا يظفرون به من اول قدم ! لكن ، لما رأوا « بداية » و « غاية » حينئذ سلكوا الفراغ الموسط عندهم . وليس هو شأن الاكابر . فانهم يمشون مشياً آخر ، وهو « فيه » . وكان الأصل المحقق انما هو « فيه » . وما عدى ذلك فهو نسب واضافات . فعين « اليه » و « منه » « فيه » . ولا يعرج « فيه » إلا « به » . فـ « هو » الذي عرج : فكأنه عرج بنفسه من نفسه الى نفسه. وانت المقصود بالفائدة على كل الوجوه . وانت لا تتقيد ، لكونه — تعالى ! — لا يتقيد ، وهو محال [الاصل : محال ، والتصحيح في نسختي برلين وفيينا] فائدتك . وقد حصلت الفائدة. لكن بعد ان لم تكن [الاصل : يكن والتصحيح من نسختي برلين وفيينا] . وانظر الى قول العارف

« فكان بلا كون لانك كنته »

« ولقد كاد العبد ان يضيع . لكن وجود عينه لا يمكنه انكاره ، لانك وجدت شيئاً لم يكن عندك ، ومزيدك متنال [الاصل : متنال وكذا نسختا برلين وفيينا] . فذلك الذي يجد المزيد هو العبد ، فهو يحصل المزيد من كونه عيناً للحاصل : لا انه محصل بل الحق المحصل والحاصل والمحصول . وليس لعينك حينئذ « أين » ولا « كون » : فـ « هو » ، لا « أنت » . — والله يقول الحق ! » [مخطوط الفاتح ورقة ٢٣ب—٢٤ا] . —

٧١٧) ابو يعقوب الرازي : « شيخ الري والجبال في وقته . كان اوحد في طريقته : في اسقاط الجاه وترك التصنع واستعمال الاخلاص . صحب ذا النون المصري وابا تراب ورافق اباسعيد الخراز في بعض أسفاره » توفي عام ٣٠٤ للهجرة . انظر ترجمته في طبقات الصوفية للسلمي ١٨٥—١٩١ وطبقات الشعراني ١/ ٥٠١-وتاريخ بغداد ١٤/ ٣١٤—٣١٩ وشذرات الذهب ٢/ ٤٢٥ والرسالة القشيرية ٢٩ والحلية ١٠/ ٢٣٨—٢٤٢ وصفة الصفوة ٤/ ٨٤ والبداية والنهاية ١١/ ١٢٦ . —

ا وسألنا KW . — ب الاصل : سوال . —

الى عندية المُتَقَلَّب . فافهم ! وقد تورث هذه الوصلة ، القاضيةُ بالشرب والذوق ريّاً يستعقب سكوناً مّا وسُلُوًّا . ولذلك قال ، قدس سره :

« وكان عطشاناً للتوحيد » اي لم يبلغ في مشرب التوحيد غاية تعطيه الري ؛ « فروي » بما ارتشف حالة التعانق والتقبيل ممّا حَمَّل نَفَسَه — قُدِّس سرّه —! من عندية مُتَقَلَّبه الى باطن قلب يوسف بن الحسين . واتصال ذوقه بعندية مُتَقَلَّبه . واعطى العلمُ ذوقاً بكمال الاتحاد بين الباطنين . ثم ظهر بسر الاتحاد ما في باطن قلبه — قدس سره — في باطن قلب الآخر ، حتى رَوِي ؛ فانه سكن بوجدان المطلوب حالتئذ ؛ [f. 72ª] فازال بَرْدُ التوز به حرارة الفقد ولوعته ؛ فزال العطش . ولذلك قال ، قدس سره :

(٣٦٢) « — فقلت له : أقبلك أخرى

» — قال : رويت! » قال :

« — فقلت له ت : واين قولك « لا يروي طالب التوحيد الا بالحق[٧١٨] ؟ »

والحق لا نهاية له ، فلا يعطي توحيدُه الريّ ، وكيف لا يعطي الري :

« وقد يروي الدون بما يسقيه من هو اعلى منه » — فالري ، ممن لا نهاية لفيضه ، أولى وأجدر . — انتبت صورة الاعتراض . وقد استأنف — قدس سره ! يقول :

« ولا ريّ » في التوحيد . الذاتي ، الاحدي « لأحَدٍ ث فاعلَمْ ! » فان الري انّما يكون مسبوقاً بالذوق ، ولا ذوق لأحد في التوحيد الذاتي ، « فان توحيده اياه توحيده » . اللهم ، إلا في التوحيد الاسمائي ، من حيث دلالة الاسم على المعنى الزائد على الذات . فان ذوق الناثر بتوحيد المعنى ، الزائد عليها ، اذا انتهى روى . ولهذا ينتقل ، في سيره في الله ، من اسم الى اسم ومن تجلٍّ الى تجلٍّ .

(٣٦٣) « فتنبه يوسف » بن الحسين لتحقيق ما هو الأمر عليه في التوحيد ، بما ألقى اليه . فلما ذاق طعم مشروبه « وهفا إليَّ » يقال : هفا الطائر بجناحيه ، اذا خفق وطار ؛ « فاحتضنته » حتى استوى معي مواجهةً ؛ « فنصبت له معراج الترقي « فيه ج » » اي في الحق ، الذي هو عين البداية ،

٧١٨) المنقول عن يوسف بن الحسين : « من وقع في بحر التوحيد فانه لا يزداد الا عطشاً على مر الأوقات عليه ولا يروى ابداً لانه ظمأ حقيقة لا يسكن الا بالحق » [انظر جذوة الاقتباس ورقة ٢٨ا] . —

ت — W. — ث لاحد PKW. — ج — K. —

وعين السفر : و(عين) النهاية . فالعروج : من هذه الحيثية : (هو عروج) الى الحق من الحق في الحق بالحق ! — فالعروج «فيه» هو «**الذي لا يعرفه كل عارف**» بل هو شأن المحبوب المحمول : من أول قدمه : الى محل ظفره بالمقصود : الذي هو الغاية القصوى . فالحق عرج بنفسه في نفسه الى نفسه . والمحبوب : مقصود بالفائدة : فائز بها من كل الوجوه : غير متقيد بوجه منها : أيْ بفيه : ومنه . وإليه . (شأنه في ذلك .) كالحق المطلق . الذي هو حامله وقاصده بفوائد هذه الوجوه . فافهم !

«**والمعراج** ح **اليه ومنه ، حظهم لا غير**» اي حظ غير المحبوب : فلاحظ لهم من المعراج «فيه» . ولما كان : قدس سره ! من اساطين المحبوبين : المقصودين بالفائدة في بدايتهم وسَفَرهم ونهايتهم : قال :

(٣٦٤) «**واما نحن : ومن شاهد ما شاهدنا** خ — **فمعارجنا ثلاثة** د : **اليه ومنه وفيه . ثم ترجع** ذ» = **الثلاث** — «**عندنا واحداً : وهو فيه . فان إلَيْه فيه**» : **وَمِنْهُ «فِيهِ» . فعين «إلَيْه ومِنْه : «فِيهِ» : فما ثَمَّ الا «فيه» ولايعرج «فِيهِ إلاَّ بِهِ . فَهُوَ** ر» **السائر مِنْه : بِهِ : فِيهِ : إلَيْه ! — «لا أنت»** .

فانك اذ ذاك كنت «بلا كون لانك كُنْتَهُ» . وفي هذا المقام : يكاد ان يضيع عين العبد فلا يوجد له اثر . فلا يُثبته اذن الا وجدانه ما لم يكن عنده . فالعبد : واجده : والحق : محصله : من حيث انه عين الحاصل والمحصول له . فافهم الاشارة ! —

«**فتحقَّقْ هذا التجلي**» ونتائجه : [f. 72b] «**يا سامع الخطاب !**»

ح المراج H . — خ مشاهدنا K . — د بك P ، ملاه W ، ثلاثه K . —
ذ يرجع KH ، درجع W ، ترجع P . — ر فهؤلاء H . —

(شرح)[٧١٩] تجلٍّ[ا] من تجليات المعرفة

LXIV

(٣٦٥) مقتضى حال الوجود : طلبُ نفسه ووجدانها في كل شيءٍ[ب] : بحسب حقيقته ومرتبته وحكمه . فليس في الكون حركة وسكون وعين وجزءٌ[ت] وكل — الا وحقيقته تطلب الحق : الذي هو عين الوجود ؛ بحسبها . فالرأس يطلبه من حيثية الفوقية : التي منتهي غايتها : ﴿وهو القاهر فوق عباده[٧٢٠]﴾ والرجل يطلبه في منتهى افق تحتيته ؛ المقول فيها : « لو دليتم بحبل لهبط على[٧٢١] الله » . والقلب يطلبه من حاق كل بينونة ؛ وهذا الطلب ؛ إما من وسَّطيتها فقط ؛ او من حيثية اشرافها على الاطراف ؛ او من حيثية المجموع . فالأول ؛ هو المقول عليه : ﴿وفي انفسكم افلا تبصرون[٧٢٢]﴾ . والثاني : هو المقول عليه : ﴿لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم[٧٢٣]﴾ .

---

٧١٩) املاء ابن سودكين . «ومن ذلك تجل [الاصل : تجلي] من تجليات المعرفة . قال شيخنا وامامنا : رضي الله — تعالى ! — عنه : « رأيت بن عطاء.................. .... فحصل في ميزاني وأقر لى وانصرفت» . — قال جامعه : سمعت الشيخ يقول في اثناء شرحه هذا التجلي ما هذا معناه . كل احد يطلب الحق من حيث حقيقته . فالرأس يطلب الفوقية والرجل تطلب التحتية؛ لانها في حقها افقها . وليس في العالم حركة الا وهي طالبة للحق . فلما سمعت رجل جل ابن عطاء ، قال ابن عطاء : جل الله ! لكونه لمح « القاهر فوق عباده » ؛ وتنزه الحق ان يطلب من اسفل . فقال الجمل : جل الله ! اي جل عن اجلالك . لاني طلبت الحق من حيث حقيقتي ، وأفق رجلي هو التحت . وانت عارف ، فينبغي [f. 24b] لك ان تعرف مراتب الطلب ، ولا تنكر ولا تحد من لا يقبل مراتب الحد . بل سلم لكل احد طلبه من ساير الطوايف وساير الطالبين . فتخرج بذلك عن الحد . فسلم يا ابن عطاء لكل طالب صورة طلبه كما سلم لك » . اي كما سلم لك ارواح العارفين بالفطرة ؛ وهم ارواح النباتات والحيوانات وارواح المحققين . واما اهل الفكر ، فلا : فانهم يدعون الى وجه خاص من حيث تينوا علمهم بعلامة مخصوصة . فهم لا يدعون الا منها . فهم لا يسلمون إلا لمن وافقهم . فاعلم ! » [مخطوط الفاتح ٢٤ا—٢٤ب] . —

٧٢٠) سورة ٦ /١٨ ، ٦١ . —

٧٢١) حديث مروي عن ابي هريرة وابي ذر ذكره ابن تيمية بهذا النص « لو ادلى احدكم بحبل لهبط على الله » . ويحقق شيخ الاسلام بان هذا الحديث رواه الترمذي من طريقين: الواحد منهما منقطع من طريق ابي هريرة والآخر مرفوع من طريق ابي ذر [انظر رسالة عرش الرحمن ٢٤] . —

٧٢٢) سورة ٥١ /٢١ . —

٧٢٣) سورة ٥ /٦٦ . —

ا تجل HK ، تجلى W . — ب الاصل : شى . — ت الاصل : وجزو . —

والثالث . هو المقول عليه : ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾[٧٢٤] . — والبَصَر يطلبه في المبصرات ، وهو المقول فيه : « ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله قبله او بعده او معه او فيه[٧٢٥] » . — والسمع يطلبه في المسموعات ؛ وهو المقول فيه : « ما زلت اكرر الآية حتى سمعت من قائلها[٧٢٦] » . وهذا : اذا سمع من الحق بالحق في كل شيء ب : وهو السماع المطلق . — والشم يطلبه في المشمومات ؛ وهو المقول فيه : « اني لأجد نَفَس الرحمن[٧٢٧] من قِبل اليَمَن » . — والذوق يطلبه في المذوقات ، وهو المقول فيه : « مَنْ منكم مثلي ؟ أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني[٧٢٨] » . هذا اذا كانت مشاهدة المحبوب غذاءً ث وقواماً . — واللامسة تطلبه في الملموسات ، وهو المقول فيه : « وجدتُ بَرْدَ أناملِه »[٧٢٩] . — وهكذا طلب كل جزء من كل شيء ب . فافهم !

فلما غاص رِجُل جَمَّل ابنِ عطاء — قال ، حيث لمح اختصاص القاهر بالفوقية على العباد : جَلّ الله ! ونَزَّه (ابنُ عطاء) ان يطلبه من

٧٢٤) سورة ٤١/٥٣ . —

٧٢٥) هذا النص وغيره وأمثاله مروي عن كثير من الصوفية : عن ابي يزيد البسطامي وعن عامر بن عبد الله وغيرهما [انظر جذوة الاصطلاء ورقة ١١٦ ا] وينسب ابن عربي في كتابه « الإعلام باشارات اهل الالهام » اجزاء من هذه الجملة الى ابي بكر وعمر وعثمان [انظر باب الرؤية] .

٧٢٦) هذا القول منسوب الى الامام جعفر الصادق ، انظر عوارف المعارف [الباب الثاني : في تخصيص الصوفية بحسن الاستماع] والاحياء [المجلد الاول ، كتاب اداب تلاوة القرآن : اعمال الباطن] وانظر ما تقدم تعليق رقم ٢٤٥ . —

٧٢٧) حديث يذكره مراراً ابن عربي في كتبه وهو من اسس نظريته في الخلق ، انظر الفتوحات ١/٢٦٦ وما بعدها ؛ ٢/٣٩٠ وما بعدها . — والحديث اخرجه الامام احمد في مسنده عن ابي هريرة بهذه الرواية : « واجد نفس ربكم من قبل اليمن » ورجاله ثقات [انظر المغني عن حمل الاسفار للعراقي على هامش الاحياء ١/١٠٤ تعليق رقم ٢ .

٧٢٨) حديث مذكور في البخاري (فتح الباري ٤/١٨٠) ومسلم ١/ حديث رقم ٣٠٤٣ ومسند ابن حنبل ٢/٢٥٧ وسنن الشافعي ٦٠ . (نص الحديث ثمت : « اني لست كهيئتكم : اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني » . —

٧٢٩) مع جزء من حديث الاسراء والمعراج : « ... ثم عرج به الى السماء . حتى دنا من ربه فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى ... وان الله ، عز وجل ! « وضع يده بين كتفيه فوجد بردها بين ثديه فعلم علم الأولين والآخرين ... » [انظر كتاب الشرح والابانه ص ٦٠] . —

ث الاصل : غداء .

جهة السفل فَنَبَّهَتْهُ الحق . على لسان جَمَله . حيث نطق فقال : جَلَّ الله ! (أيْ) عن إجلالك وتخصيصك إيّاه بجهة دون جهة ؛ فإني طلبته من حيث حقيقتي ؛ وأُفُقُ رِجْلي هو التحت ؛ وكل شيء ب لا يطلبه إلا كما تقتضي حقيقته . —

(٣٦٦) قال — قدس سرّه ! :

« رأيت ج ابن[٧٣٠] عطاء ح في هذا التجلي. فقلت له : يا ابن عطاء ح ، أنخ غاص د » يقال : غاصت ذ قوائمه ر في الأرض حتى غابت . أي ساخت . وهمزة الاستفهام للتبكيت . —

« رِجْلُ جَمَلِ ز فأجللت الله قد أجلّه معك الجمل . فأين اجلالك ؟ بماذا تميزت عن جملك[٧٣١] ؟ » فإنْ خصصت اجلالك بنسبة ﴿وهو القاهر فوق عباده[٧٣٢]﴾ — فخصَّصَ الجَمَل اجلاله بنسبة « لو دليتم بحبل لوقع[٧٣٣] [f. 73a] على الله » . حيث طلب رِجْله في غوصه س أفُقاً إليه منتهاه . ولهذا قال :

« هل كان الرّجل من الجَمَل يطلب س ، في غوصه ش ، سوى ربّه ؟ » كيف يتعدى شيء ص في طلبه من أفُقِه . هو مقامه المعلوم المقدّر له ، على وفق اقتضائه الذاتي ؟ ألا ترى كيف قالت الملائكة : ﴿وما منا إلا له مقام معلوم[٧٣٤]﴾ وكيف قال جبريل : « لو دنوت

---

٧٣٠) احمد بن عطاء بن احمد الروذباري ابن اخت أبي علي الروذباري : شيخ الشام في وقته مات بصور في ذي الحجة سنة ٣٦٩ . انظر ترجمته في طبقات السلمي ٤٩٧—٥٠٠ ونتائج الافكار القدسية ٢/٢٦—١٩ والكامل ٨/٥٢٢ والبداية والنهاية ١١/٢٩٦ وتاريخ بغداد ٤/٣٣٦ ومعجم البلدان ٢/٨٣١ ؛ ٤/٥٥٥ والرسالة القشيرية ٣٩ وطبقات الشعراني ١/١٤٥ وشذرات الذهب ٣/٦٨ . —

٧٣١) يردد ابن عربي هذه القصة مراراً في فتوحاته ولمناسبات تختلف عن موضوع هذا الفصل . انظر الفتوحات ٣/٤٨٩ ؛ ٤/١٨٩ .

٧٣٢) آية رقم ١٨ ؛ ٦١ من سورة رقم ٦ . —

٧٣٣) انظر ما تقدم تعليق رقم ٧٢١ .

٧٣٤) سورة رقم ٣٧ آية رقم ١٦٤ . —

ج راس W ، رايت PK . — ح عطا KW . — خ أن W ، ان H . —
د غاس P . — ذ الأصل : غاست . — ر الاصل : قوايمه . — ز جملك HK . —
س الاصل : عوصه . — س تطلب H . — ش الاصل : غوصه . — ص الاصل : شى . —

أملة ـ لاحترقت[٧٣٥] »؟ نعم ليس للحقيقة الانسانية ، بما حازت في وسطيتها من كل شيء ص ، ان تنحصر في أفق وتقف مع قيد وحال ومقام. بل ذا السراح والاطلاق . عند انتباهها ض الى مقامها المطلق ، في حضرة الجمع والوجود . فلها . اذ ذاك . « الإمعيّة »[٧٣٦] في سعة عموم « المعيّة » !

(٣٦٧) « ــ قال ابن عطاء ح : لذلك » اي لطلب رجال الجمال . في الفقه . ربه ــ « قلتُ : جلّ الله ! ــ قلتُ له : فان الجمال اعرف منك بالله ، فانه أجلّه من إجلالك » حيث حصرت الحق (ــ تعالى ! ــ) في الفوقية واخليت التحت منه . وقلتَ بالحدّ من حيث لا تشعر. وهو ــ تعالى ! ــ مع بقائه خ ، في تنزهه وتقدسه . مع كل شيء ص لا بمقارنة . ولذلك « كما يطلبه الرأس ظ في الفوق ، يطلبه الرجل في التحت » وهو منزه ان ينحصر في جهة ، مع ظهوره وتجليه فيها وبها . « فما تعدّى الرّجال ما تعطيه حقيقته » في سيره الى جهة تحاذيه .

« يا ابن عطاء ! ح ما هذا » الحصر والتقييد « منك بجميل » وأنت ممّن عرف إطلاق الحق في تقيده بالفوقية ، بنسبة : ﴿وهو القاهر فوق عبادهِ﴾[٧٣٧] .

(٣٦٨) « يقول إمامنا » ومؤئلنا فيما يعنّ لنا من الشُبَه المضلة : « رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ! : « لو دليتم بحبل ــ لهبط ع على الله »[٧٣٨] . فكان الجمال » في عدم قوله بالحصر والتقييد في جهة من الجهات : ــ « أعرف بالله منك » حيث عرف مراتب طلب الطالبين وتفاوت استعداداتهم . « فهلا سلمت لكل طالب ربه صورةَ طلبه » المختصة به ، « كما سلّم » كل طالب « لك » صورة طلبك . والمراد من قوله : « كل طالب » :

---

٧٣٥) جزء من حديث المعراج ، انظر دائرة المعارف الاسلامية (مجلد ٣/٤: ٧٤-٧٧- النص الفرنسي والمصادر العديدة الملحقة بذيل المقالة) . ــ

٧٣٦) انظر ما يخص هذه الكلمة آخر تجلي « الولاية » وتعليق رقم ٥٠٨ . ــ

٧٣٧) سورة ٦/١٨ ، ٦١ . ــ

٧٣٨) انظر ما تقدم تعليق رقم ٧٢١ . ــ

ض الاصل : انتباهها . ــ خ الاصل : بقاءه . ــ ظ الرأس HKW ، الرّاس P .ــ ع لوقع HW . ــ

كل روح من الارواح العارفة بالنطرة : كأرواح النباتات والحيوانات والمتقين . وليس من شأن غ اهل الفكر التسليم الا في حق من وافقهم في طلبهم ومقاصدهم . فان طلبهم ومقاصدهم مقيدة ، بوجه خاص .

« تُبْ الى الله يا ابن عطاء ! ح » عمّا انت عليه واقتَد ، في شهود اطلاق الحق وتنزهه عن الجهة مع تجليه فيها وبها ، بجملتك : « فانّ الجمال ف استاذك » وحاملك الى التحقيق . —

« — فقال » ابن عطاء ح : « الإقالةَ ، الإقالةَ ! » عمّا كنتُ عليه .

(٣٦٩) « — فقلت ق له : » [f. 73b] مجرّد الاقالة لا يعطيك التحقيق في الحق ، « ارفع الهمة » تنلْ ما فات عنك .

« — فقال : مضى زمان رفع الهمم » بانتقالي من نشأة ك الاجتهاد والكسب . —

« — قلت له : للهمم ، رفعٌ بالزمان وبغير زمان . زال الزمان » في حقك بتجردك عن المواد الحسية وبانتقالك الى الحظائر القدسية ، « فلا زمان » يقيدك الآن . « ارفع الهمة في « لازمان » » يُعينُكَ على الشهود السانح لك من مخائل التجريد ، « تنَلْ ما نبهتك عليه » في الحق والتحقيق فيه . « فالترقي ل ، دائم م ابداً » والانسان لا غاية له في طلبه .

« فتنبه ابن عطاء ح » لوجدان ما لم يكن عنده في الآجال ، وفهم من ذلك كيفية الترقي فيه . « وقال : بورك فيك من أستاذ ! ثم فتح هذا ن » في باب الترقي المشار اليه . « فترقي ، فشاهد » ما لم يكن يشهد . « فحصل في ميزاني » حيث صار حسنة من حسناتي في تحقيق الحق والترقي الى اعز المنال .

« وأقرّ لي » وجعلني وجهة ارادته واقتدائه و ، « وانصرفت » .

غ الاصل شان . — ف جملك H . — ق قلت K . — ك الاصل : نشاه . — ل بالرق K . — م دايما K . — ن × الباب KHW . — ﻫ فترقي HK ، جاتر W ، فتر P . — و الاصل : واقتداه . —

(شرح)[٧٣٩] تجلي النور الأحمر
LXX

(٣٧٠) ذَكَرَ – قُدِّسَ سِرُّه ! – في بعض أماليه : « ان النور الشعشعاني هو النور الذي لا يُدْرَكُ ويُدْرَكُ به »[٧٤٠] . فكأنه اراد به النور الذاتي ، المقول عليه : « نور أنّى أراه »[٧٤١] . – وهو ، من حيث انعكاس اشراقه في سواد الغيب الاحمر : انما يظهر في وسع الخيال المطلق ، لذي الشهود : بلون الحمرة ، المتولدة من الألوان المختلطة .

---

٧٣٩) املاء ابن سودكين . « ومن تجلي النور الأحمر ، وهذا نصه . « سريت في النور الاحمر .... فتركته وانصرفت » . – قال جامعه : سمعت شيخي يقول ، في اثناء شرحه لهذا التجلي ، ما هذا معناه . النور الشعشعاني يدرك به ، ولا يدرك هو في ذاته . واما غير (النور) الشعشعاني فانه يدرك في ذاته ، ويدرك به . واصول الالوان البياض والسواد . واما بقية الالوان ، فمتولدة من أجزاء مخصوصة تتركب من هذين اللونين ؛ ثم كذلك تتولد كم يتولد منها الوان أخر . – واما كونه احمر : فان الحمرة تولد شهوة النكاح . والنكاح لذة تستغرق الطبيعة . فلما كان بهذه الصفة ، كان [الاصل : وكان] هذا التجلي المثلي له من اللذة ما يستغرق وجود العبد . فلهذا كنى عنه بالحمرة ، في المحاورة ، لتناسبهما [الاصل : لتناسب . والتصحيح ثابت في مخطوطي برلين وثينا] . وصاحب هذا المشهد لا يتصور ان يخبر الا عن عين واحدة ، لفنائه عن سوى ما افناه . واللطيفة الانسانية لها آلة روحانية تدرك بها الامور المعقولة وهي العقل ، ولها آلة حسية تدرك بها المحسوسات . – ولما اجتمعت بالخواص ، رحمه الله ! تمكنت بالثمرات ، مجردة عن مدركات الآلات التي كانت تقيدها [الاصل : تقيده] . فما زلنا في تلك الحالة : حتى رأينا عليا – رضي الله عنه ! – ماراً في ذلك النور فسكته . فقلت : « هو » : « هذا » ؟ فقال : « هو » : « هذا » ! اي : إن كان مطلوبك « العين » : فيا هي . فقال : صحيح هي « العين » وما هي « العين » ! كما انك انت ؛ وما « هو » انت . اي : انت انت ، من حيث شخصيتك ؛ وما انت انت ، من حيث حقيقتك . وهذا لا يتقال في باب المعقول . لان الأمرين ، ثم ، امر واحد من كل وجه . واما هاهنا [الاصل : ها هنا] ، فان عالم التركيب يقتضي وجهاً مخالفاً ولا بد : فيحصل التناسب والتناكر من وجهين [f. 25a] مختلفين [الاصل : فيحصل تناسب من وجه ويحصل التناكر من وجهين مختلفين] . كقوله – تعالى ! « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » . – قلت : ثم ضد ؟ اي : ثم غيره – قال : لا . قلت : عين واحدة ؟ – قال : عين واحدة . – قوله : « انت اخي » اي : نرجع الى عين واحدة ، شرب كل منا منها ؛ فكانت امنا [الاصل : امه] واحدة ، فكنا لذلك اخوة ! » [مخطوط الفاتح ورقة ٢٤ب–٢٥أ] . –

٧٤٠) هو في املاء ابن سودكين المتقدم : وفي الفتوحات ، جاء تعريف النور : « ان النور يدرك ويدرك به والظلمة تدرك ولا يدرك بها . وقد يعظم النور بحيث ان يدرك ولا يدرك به ، ويلطف بحيث ان لا يدرك ويدرك به » (فتوحات ٣ /٢٧٤).

٧٤١) الحديث بكامله في الفتوحات : « سئل – صلى الله عليه وسلم ! – هل رأيت ربك ؟ – فقال : نور انى اراه » (فتوحات ٣ /٢٧٤) .

فحالتئذ يُرَى رؤية ا مثالية . وهكذا اذا انعكس لألآء ب الروح في سواد الطبيعة ، المزاجية ، الجميّة . ولذلك لون الاحمر إنما يثير الشهوة الخامدة الطبيعية بالخاصة .

وحكم هذا النور الاحمر الشعشعاني ، في قلب الاعيان المعدومة الامكانية موجودةً ، كالكبريت الأحمر : في قلب الاجساد الغلسية المعدنية ، القابلة للعلاج والكمال ، ذهباً خالصاً لا يطرأت عليه الفساد .

(٣٧١) وهذا النور ، حيث تلاقى بقوته الفاعلة قابليّة الطبيعة الامكانية ، في مرتبة وسطية ، نَبَتَتْ فيها الشجرة الكلية ، الناطقةُ ، الوحيديةُ . ثم نشأ ، ث من اصلها الوسطي ، فرعان فارعان ؛ وهما توأما بطن واحد : أحدهما ، الحقيقة العُلْوية ، الظاهرةُ بكل ما حاز بطنها بَدْءاً ؛ ج والآخر ، الحقيقة الختمية الخاصة ، الظاهرةُ بكل ما حاز بطنها ختماً . —

فقامت الحقيقة العُلْوية بجوامع المعاني في قلب الحروف ، من حيثية أبوة اصلها الكريم . فورثت منه ولاية العلم الاحاطي الوسطي ، بدلالة الاسماء على الارواح والصور [f. 74a] والمعاني . ولذلك قامت الحقيقة العلوية ، في الولاية السيادية كآدم — عليه السلام — ! في النبوة العامة . وقامت الحقيقة الختمية الخاصة ، من حيثية أمومة القابلية ، المختصة بالاصل الكريم . فورثت منه العلم الوسطي ، المحيط بخصوصيات المعاني والارواح ، من حيثية طلبها الحروف والصور ، الوافية لبيانها وظهورها . فافهم ! فانك اذا فهمت هذه النكت الشريفة — عرفت سرّ مرور عليّ — رضي الله عنه ! — في هذا النور . وعرفت وجه الاخوة بينه وبين المحقق ، الذي قال :

(٣٧٢) «سريت ح في النور الاحمر الشعشعاني خ ؛ وفي صحبتي ابراهيم الخواص»[٧٤٢] لاشتراك بينهما في مشهد واحد اذ ذاك . —

٧٤٢) «هو ابراهيم بن احمد بن اسماعيل . كنيته ابو اسحق . كان احد من سلك طريق التوكل وكان اوحد المشايخ في وقته . هو من اقران الجنيد والنوري . له في السياحات والرياضات مقامات ... مات في جامع الري سنة ٢٩١ » (طبقات الصوفية للسلمي ٢٨٤—٢٩٠) وانظر

ا الاصل : رويه . — ب الاصل : لالآء . — ت الاصل : يطراه . —
ث الاصل : تشاه . — ج الاصل : بداه . — ح سرت W ، سريت P . —
خ السعانى W . — خ الاصل : ا فصاه . —

« فتنازعنا الحديث فيما يليق بهذا التجلي وما تعطيه حقيقته » في كونه لا يُدْرَك من حيثية نوريته . ويُدْرِك به ما سواه من الحقائق الالهية والامكانية ؛ ومن حيثية حمرته في المشهد المثالي ؛ ومن حيثية كونه يعطي استغراق وجود المشاهد فيه بالكلية ، عن لذة مفرطة : كاستغراق كلية النفس في شهوة النكاح ؛ ومن حيثية اقتضائه خ الاخبار عن عين واحدة ، مع اثبات الغيرية معها من وجوه ؛ — ومن حيثية اقتضائه التنازع في الحديث . لا باستعمال آلات النطق ، على الحكم المعهود ، بل بالتخاطب الذاتي ، المجرد عن آلات النطق . كما هو حظ الذوق لا حظ العقل[٧٤٣] . —

(٣٧٣) قال : « فما زلنا على تلك الحالة » د المقتضية التخاطبَ الذاتي ، — « واذا بعلي بن ابي[٧٤٤] طالب ، رضي الله عنه ! مارًّا في هذا النور ، مسرعاً » = اذ من شأنه ذ في الوراثة السيادية بهذا النور ، شهود كل شيء في عين واحدة . بل شهود كل شيء ر . في كل عين . ولذلك اثبت ونفى : حيث قال : هو هذا ؛ وما هو هذا . كما قال — تعالى ! — : ﴿وما رميت اذ رميت[٧٤٥]﴾ . ولذلك قال ، قُدِّس سرّه :

« فسكته ز . فالتفتَ اليَّ . فقلت له : هو هذا » س = اي هو العين المطلوبة الوحدانية ، الناصعة من شوب السوى ا . —

« — فقال : هو هذا ؛ وما هو هذا ! » س = أيْ إن كان مطلوبك العين الوحداني — فيها هي . وان كان مطلوبك شهود كل شيء ر فيها — فما هي هي . بل هي ، من هذه الحيثية ، كل شيء ر في كل شيء ر .

ايضاً ترجمة حياته في تاريخ بغداد ٦ /٧–١٠٧،١٠ والرسالة للقشيري ٣١ والحلية ١٠ /٣٢٥–٣٣١ ونتائج الافكار القدسية ١ /١٧٥ وطبقات المناوى ١ /١٨٤–١٨٨ وطبقات الشعراني ١ /١١٣–١١٥ وصفة الصفوة ٤ /٨٠–٨٤

٧٤٣) هنا يومئ الشارح الى ما ذكره ابن سودكين في املائه عن ابن عربي المتقدم .

٧٤٤) حول علي ، رضي الله عنه ! انظر دائرة المعارف الاسلامية المجلد الاول ص ٣٩٢–٣٩٧ (الطبعة الفرنسية الجديدة) وانظر ايضاً مناقب الامام احمد ، لابن الجوزي ١٦١–١٦٤ وكتاب الجامع ٧٩–١٠٢،١٢٢–١٣٣ وكتاب السنة ١٨٦–٢٠٥ والمسند ٢٨٨–٢٩٤،٣٢٦–٣٣٤ وطبقات الحنابلة ١ /٥٤٤،٢ /٣٩–٤١ . —

٧٤٥) سورة ٨ /١٧ . —

د الحال KH . — ذ الاصل : سانه . — ر الاصل : شي . — ز فاسكته H . — س + ؟ H . —

— « كما انا » — بشخصيتي « انا » ؛ وبحقيقتي « ما « انا » . وأنت »
— بشخصيتك « انت » ؛ وبحقيقتك « ما « انت » . »

« — قلتُ . فثَمَّ ، ضد ؟ »

« — قال : لا »

« — قلتُ — فالعين ش واحدة » مع ورود النفي والاثبات عليها . —

« — قال : نعم ! »

« — قلتُ : عَجَب ! »

« — قال : هو عين العجب ! » وهذا جواب يَحُلّ غموض المعنى « لمن كان له قلب » . قال : رضي الله ! [f. 74b] له — قُدّس سرّه :

« فما عندك ؟ »

(٣٧٤) « — قلتُ : ما عندي « عند » فان « العندية » نسبة معقولة ؛ لا تحقق لها إلا بي . و « انا » : لا « انا » . فلا تحقق لي في الحقيقة : اذ لي الحكم في الوجود : لا العين . —

و « انا » ؛ عين العندص » اذ لا تحقق له ايضاً في نفسه . والعدم المضاف : نوع واحد . —

ثم « — قال » عليّ : — رضي الله عنه ! فنحن . على هذا . توأما بطن واحد ، وشربنا من ثدي واحد .

« فأنت أخي ! »

« — قلت : نعم ! »

« فواخيته »

حيث وجدت امر الولاية الاختصاصية السيادية مفتتحاً بحكم الاستيعاب به ومختتماً بي . —

(٣٧٥) ثم « قلتُ » له : رضي الله عنه : « اين ابو بكر ؟ — قال : « أمام » وهو محل تمحض النور المطلق عن ملاقات الكون ورسومه وقيوده وآثاره . فالأمام : للبياض ؛ والخَلْف : للسواد ؛ والحمرة : للجمع . فافهم !

« — قلتُ : اريد اللحاق به حتى اسأله ص عن هذا الأمر

ش والعين H . — ص العين HK . — ص اسئله W ؛ اسئله P ، أساله K . —

« كما سألتك » ط تأدّبَ : قدس سره ! واستأذن عند روم الانتقال الى صحبة كامل آخر . كما هو دأب المسترشد : المتيقظ : الموفق . —

« — قال : انظره في النور الابيض » .

اشار الى تمحض اطلاق النور عن قيود القوابل وصبغها . ولذلك وصفه بالبياض فانه لون مطلق : من شأنه ظ ان يقبل الالوان كلها . والسواد لون مطلق : من شأنه ظ ان لا يقبل شيئاً ع منها . — ثم اتبع بقوله :

« خلْفَ سرادق الغيب » تحقيقاً لتمحيض النور : المشار اليه . فان سرادقه عالم التقييد : ومبدءه غ من عالم العقل الأول الى انهى غاية عالم الطبيعة . فالنور . من حيثية انفصاله وعدم تقيده به : وراءه . فافهم ! — ثم قال : قُدّس سرّه :

« — فتركته » في ذلك المشهد الاقدس : — « وانصرفت » الى مواقع اللّبْس ! —

ط سالتك W ؛ سلتك ، سألتك P . — ظ الاصل : شانه . — ع الاصل : شاه . —
غ الاصل : ومبداءه . —

(شرح)[٧٤٦] تجلي النور الأبيض

LXXI

(٣٧٦) «دخلتُ في النور الأبيض. خلّفتُ سرادق الغيب» بتجرد ذاتي عن الزوائد اللاحقة لها: في مراتب تطوراتها. فكنتُ

٧٤٦) املاء ابن سودكين. «ومن تجلي النور الابيض، وهذا نصه. «دخلت في النور الابيض .... فقد وهبته لك». — قال جامع هذا الشرح: نفعني الله -تعالى!- به: سمعت سيدي وشيخي وامامي، رضي الله عنه! يقول في اثناء شرحه هذا التجلي ما هذا معناه. اما النور الابيض: فانه لما كان البياض يقبل كل لون، دون غيره من الالوان؛ كان له الكمال. اذ هو عبارة عن حالة تشمل (شمولا كليا). وهو (بالنسبة الى سائر الالوان) بمنزلة «الجلالة» في الاسماء، وبمنزلة «الذات» مع الصفات. — وقوله: «خلفت سرادق الغيب» اي وراء عالم العقل والاحساس والطبيعة. فتبقى اللطيفة (ثمت) تدرك ذاتها بذاتها، وتدرك المراتب بذاتها، وتباشر المعاني المجردة بذاتها. وهذا هو الطور الذي وراء العقل. — وقوله: الفيته على رأس الدرجة»، اي على آخر مقام وأول مقام. وقوله: «ووجهه الى الغرب»: اي ان الغرب معدن الاسرار ولهذا كان الصديق قليل الرواية [الاصل: الرويه]: لم يرد عنه كما ورد عن غيره من علم ومعرفة؛ حتى الحديث عن النبي، صلى الله عليه وسلم! لم يرد منه كثيراً، مع كونه كان أكثر الناس مجالسة له، صلى الله عليه وسلم! فكان وجهه الى الغرب: لكون الشمس تغرب فتنطمس الاسرار. — وقوله: «كان عليه حلة من الذهب الابهى»: لكون الذهب اكمل المعادن، فتكون [الاصل: لتكون] المناسبة سارية وتحصل [الاصل: ولتحصل] مراتب الكمال في كل حضرة، حتى في عالم الخيال الذي اثبتت فيه هذه المادة الخطابية. — وقوله: «ضارباً بذقنه نحو الارض»: اشارة الى التواضع وكونه لا يظهر عليه شيئاً [الاصل: شيا]. — وقول الشيخ: «ناديته بمرتبتي ليعرفني» من باب المراتب الالهية، فيعاملني [الاصل: ليعاملني] بما تقتضيه المرتبة. ولو تعرفت اليه من حضرة اخرى، كالانسانية او غيرها؛ لعاملني بما تقتضيه الحضرة التي تعرفت اليه بها، خصوصاً اذا كان العارف في مرتبة الكمالية. [جملة: «خصوصاً اذا كان ...» ساقطة في الاصل وفي مخطوط ڤيينا، وهي ثابتة في مخطوط برلين]. — وقول الشيخ: «فاذا به اعرف بي مني» فقرت بحسن التأني، مع معرفته [جملة: «وقول الشيخ ...» ساقطة في الاصل وفي مخطوط ڤيينا، وهي ثابتة في مخطوط برلين]. — «فقلت له: كيف الأمر؟ فقال: هو ذا بنظري» [الأصل: بنظرك وكذا مخطوط ڤيينا والتصحيح من مخطوط برلين] اي: هو عيني في هذا المقام. «قلت: ان عليا قال كذا وكذا»، اي اثبت ونفى. «فقال: صدق علي وصدقت انا» في كوني اثبت ولم انف. — وقوله: «خذه فقد وهبته لك»: قال الشيخ: وذلك اني كنت رأيت النبي، صلى الله عليه وسلم! [f. 25b] وقد كساني حلة الخلافة. فقلت في نفسي: لو كان الصديق حاضراً لكان احق بها. فجئت [الاصل: فجيت] الى الصديق. فقلت له (بالأمر). فقال: امض لما اعطاك. فقلت: هو لك. فقال: قد وهبته لك. اي: لو كان لي فيها حكم لكنت أهبه لك. وانما حكمه لصاحب المقام، صلى الله عليه وسلم! وصاحبه يهبه لمن يشاء. فلقيت عمر، رضي الله عنه تعالى! فذكرت له ذلك. ففعل كما فعل ابو بكر، رضي الله تعالى عنه! في التسليم. ثم ان عمر، رضي الله تعالى عنه، اختفى بالنسب الى النبي، صلى الله عليه وسلم!» [مخطوط الفاتح ورقة ٢٥ا — ٢٥ب]. —

انطق بذاتي ؛ واسمع وأرى واتعقل المعاني المجردة بها. وهذا هو الطور الذي وراء طور العقل. —

« **فالفيت** ا **أبا بكر**[٧٤٧] **الصديق** » ب رضي الله عنه ! — « **على رأس** ت **الدرجة** » اثبت : قدس سره ! في هذا النور : للاستعدادات الفائزة بمشاهدته : درجات ؛ وأومأ الى ان الصديق الأكبر كان في أعلاها. وأعلاها : أوّلُها لمَن تنزّل ؛ وآخرُها لمَن ترقّى. —

« **مستنداً ؛ ناظراً الى الغرب** » اي الى محل استتار النور المشهود. يشير الى « الهوية » المطلقة الذاتية ؛ التي هي مغرب شموس الانوار [f. 75ª] الاسمائية وتجليّاتها. —

« **عليه حُلّة من الذهب الأبهى** » ث لتسري المناسبة الكمالية في سائر الاحوال والحضرات والاوضاع ؛ المعزوّة الى مقامه الكريم ؛ الذي أقيم له : رضي الله عنه ! : في الحضرة الخيالية : كالثوب السابغ عليه من أكمل المعادن ايضاً ؛ — « **له شعاع يأخذ بالأبصار** » ج ليشعر انه . في الاصل : من معدن لا يُدْرَك كُنْهه : — « **قد اكتنفه النور ؛ ضارباً بذقنه نحو مقعده** » ليشعر بكمال تواضعه لمن دونه في الرتبة ؛ مع ان النور لا يطلب ؛ في ذاته ؛ إلاّ العلو ؛ — « **ساكناً** ح **لا يتحرك** » فانه فاز بالمطلوب الجمّ في مقامه ؛ الذي هو مركز فلَك الصديقية ؛ فلا محيد له عنه ولا انتقال ؛ — « **ولا يتكلم ؛ كأنه** خ **المبهوت** » فانه ؛ في مقامه ؛ دائم الشهود ؛ والشهود انما يعطي البهت والخرس ؛ فان الكلام انما يكون من وراء حجاب ؛ ولا حجاب مع الشهود في مقام التجريد. — وانما قال : « كالمبهوت » ، فانه — اذ ذاك — في غاية الصحو ؛ وحاله فيه انما تعطي علم المفصل في المجمل[٧٤٨] ؛ فلا يذهل في بَهْتته عن دَرّه. ولذلك قال ؛ قدس سره :

---

٧٤٧) حول ابي بكر ولقب الصديق الذي اسند اليه : انظر دائرة المعارف الاسلامية ١ /١١٢—١١٤ والمصادر العديدة التي الحقت في ذيل المقالة (الطبعة الفرنسية، النشرة الثانية) وانظر ايضاً كتاب الجامع ٨٥—٨٨ والمعتمد ٢٧٥—٢٧٦ ؛ ٢٨٠—٢٨٥، ٣٣٧—٣٣٨ والثنية ١ /٨٤—٨٦ وانظر ايضاً : *Essai sur Ibn Taimiya*, par H. Laoust, pp. 207-210.

٧٤٨) علم المفصل في المجمل هو كشهود المفصل في المجمل. وهذا الاخير هو شهود

ا فالفيت H . — ب + رضي الله عنه (في اصل المتن) HK . — ت رأس KW . —
ث الابهى K . — ج الابصار H . — ح ساكنا HK . — خ كانه KW ، كانه P . —

(٣٧٧) « فناديته بمرتبتي ليعرفني ؛ فاذا به د اعرف بي مني بنفسي ! » فانه — قدس سره ! — مما يشاهده الصديق في ذلك التفصيل كما ينبغي. والنداء بالمرتبة — إذا كانت عليّة — لا يشوبه الدهشة : كنداء شخص ذي مكانة لكُنْهه ذ . — « فرفع رأسه إليّ . قلت : كيف الأمر ؟ — قال : هوذا ؛ بنظري ر ! » على أحوال مشهودة مني : من السكون والبهت والخرس . فان مقتضى هذا المشهود اضمحلال الرسوم . ومحو الموهوم فيه . —

« — قلت له : ان علياً قال كذا وكذا » أيْ نفى واثبت . —

« — قال : صدق عليّ وصدقتُ انا وصدقتَ انت » فان علياً نظر الى وجود الخلق بالحق ، وظهور الحق بالخلق : فجمع في شهوده بين الكثرة والوحدة معاً ، بلا مزاحمة . والصديق نظر الى الحق بلا خلق . وأما قوله : « وصدقتَ أنت » ، فبكونه اعرف بالشيخ منه بنفسه . فعرف . رضي الله عنه ! انه قائل بالقولين . —

(٣٧٨) قال ، قدس سره : « — قلت : فما افعل ؟ — قال : ما قال لك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ! » مشيراً الى ما رآه — قدس سره — في بعض المشاهد[٧٤٨] . وذلك انه رأى النبي — صلى الله عليه ! — وقد كساه حلة الخلافة . فقال في نفسه ، اذ ذاك : لو كان الصديق حاضراً — لكان أحق بها . ولذلك قال ، قدس سره ! —

« — قلت : » عند محاضرتي إياه ، « هو مقامك ! — قال : هو مقامه ، صلى الله عليه » وسلم ! » — والحكم لصاحب المقام يهبه لمن يشاء . —

« — قلتُ ز : قد وهبه لك . — قال : وقد ز وهبه س لك . — قلتُ

الوحدة في حضرة الواحدية بحيث تظهر الذات الواحدة لذاتها من حيث تفصيل اعتباراتها وحقايق تميزاتها مضافة الى المراتب من حيث كل فرد فرد من افراد مظاهر شؤونها ... » (لطايف الاعلام ١ ٩٨) . —

٧٤٨) انظر كتاب « مشاهد الاسرار القدسية ومطالع الانوار الالهية » لابن عربي « المشهد الثالث » : مشهد نور الستور بطلوع نجم التأييد . —

د هو KH . — ذ الاصل : لكنهُ . — ر تبطرني فيه P ، تبطرني فيه K ، تنظرني H . — ز — H . — ز قد KHP . — س يهبه HP . —

»هو بيدك؟ [f. 75b] الآن : وانت في عالم لا يقتضي التصرف على مقتضى حكم الخلافة . —

« — قال : » معي سر المقام وروح اختصاصه : ولي به . في المشرب الأعذب السادي : الآن : الوِرْدُ وانصَدَرَ[٧٤٩] : —

« خُذْهُ ! فقد وهبته لك »

٧٤٩) الورد هو الشرب الأول وانصدر هو الشرب الثاني .

(شرح)[٧٥٠] تجلي النور الأخضر

LXXII

(٣٧٩) خضرة النور وبياضه — من وراء سرادقات الغيب — عجيبة. فان النور لا لون له في الحقيقة. فلونه: لون القوابل المنصبغة: وهذا النور وراءها: فانها داخلة في السرادق. الذي حده من الموجود الأول الى أنهى الصور الطبيعية العنصرية.

فان قيل: ان اللون مستفاد من قابلية المشاهد: حسب اختلافها قلنا: حال قابليته — اذ ذاك — التجرد عن الزوائد اللاحقة بها في المراتب الكونية: عند مرورها عليها. ولذلك لا ينطق المشاهد: هنالك: ولا يرى ولا يسمع، ولا يعقل إلا بذاته. والألوان هي الزوائد المطروحة. والحق: ان المشهود — خلف سرادق الغيوب — يأبى أن يدخل تحت طور العقل وحكمه وتكييفه.

(٣٨٠) قال: قدس سره: «ثم نزلت الى تجلٍّ[١] آخر في النور الأخضر خلف سرادق الحق» فنبّه بقوله: «نزلت» ان النور الابيض اقرب الى الوحدة والاطلاق: وان الرتبة الصديقية أقدس وأعلى: وان اشترك التجليان في كونها خلف السرادق. وقد اضيف السرادق — هنا — الى الحق لا الى الغيب ليشعر باختصاص الفاروق بالاسم «الحق» وولاية ربوبيته. ولذلك قال: صلى الله عليه! فيه: «ان الحق لينطق على لسان عمر»[٧٥١]. واختصاص الحق وسلطانه: إنما تحق ظلمة

(٧٥٠) املاء ابن سودكين. «ومن تجلي النور الاخضر. (هذا نص) قوله: رضي الله عنه! في هذا التجلي. «ثم نزلت الى تجل آخر .... ووجه اليدين». — قال تجامعه: سمعت شيخي وامامي يقول، في اثناء شرحه هذا التجلي: ما هذا معناه، كان عمر، رضي الله عنه! في هذا التجلي، وهو عليه كالقبة: وينبعث من جوانبه بياض. فقلت له ما قلت. وقال: هوذا: يقول لي ذلك. فلم يز عمر: رضي الله عنه! الخطاب في تلك الخضرة من غير الحق. فسمع كلامي من الحق لا مني. — وقول عمر: رضي الله عنه! «خذ النور المسدود»: اي (النور الذي) تمد به غيرك. — وقول عمر، رضي الله عنه! «قد جاء [الاصل: جا] الشاهد»، اي قد جاء [الاصل: جا] الوقت». [مخطوط الفاتح ورقة ٥٢ب]. —

(٧٥١) انظر هذا الحديث ورواياته المختلفة في صحيح البخاري (فضائل الصحابة: ٦؛ انبياء: ٥٤) ومسلم (فضائل الصحابة: ٢٣) والترمذي (مناقب: ١٧) ومسند ابن حنبل ٦/٥٥. —

١ تجلٍّ: K تجلي H، تجل P. —

الباطل . وهذا كان يفرّ الشيطان من ظلّ عمر ويسلك فجاً غير فجّه . ثم قال :

« فاذا بعمر بن الخطاب ب[٧٥٢] . قلت : يا عمر ، — قال : لبيك ! — قلت : كيف الأمر ؟

» — قال : هوذا » من غير تقييده بنفي واثبات . اذ المشهود ، خلف سرادق الحق ، خالص عن سمة السوى . فليس معه شيء ت يرد عليه بسببه نفي . ثم قال عمر له — قدس سره :

« تقول ث لي كيف الامر ؟ » وانت تعلم ما هو الأمر وعليه في هذا التجلي وغيره . — قال :

« — فذكرت مقالة ابي بكر وعلي ، رضي الله عنهما ! ·

» وذكرت له من بعض ما كان بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ! » في امر حلة الخلافة والقيام على مقتضى مقام الوراثة . —

« — فقال : خذ المقام ! » اي المقام الذي يقتضي ختام الأمر عليه . كما قال[٧٥٣] ، قدس سره ج .

انا ختم الولاية دون شك لورث الهاشمي مع المسيح .

وقال ايضا[٧٥٤] : [f. 76a]

واني ختم الأولياء محمد ختام اختصاص في البداوة والحضر .

(٣٨١) « — قلت : هو بيدك » — كأنه ح يقول له — رضي الله عنه ! : ليس الأمر ، في هذه العطية . لك بل هو خ من صاحب المقام . —

---

٧٥٢) انظر المقالة المخصصة لعمر الفاروق ، رضي الله عنه ! في دائرة المعارف الاسلامية والمصادر الملحقة بها لتاريخ حياته : المجلد الثالث صفحة ١٠٥٠–١٠٥٢ (النشرة الفرنسية) وانظر ايضاً المعتمد ٢٨–٨٦ . والغنية ١ /٨٥ وانظر ايضاً : *Essai sur Ibn Taimiya*, pp. 210-212.

٧٥٣) انظر الفتوحات ١ /٢٤٤ « الباب رقم ٤٣ في معرفة جماعة من اقطاب الورعين » . —

٧٥٤) لم اعثر على هذا القول في موطنه . ولكن المواضع التي يذكر فيها هذه المسألة تصريحاً او تلويحاً شعراً او نثراً في الفتوحات فهي في المواطن الآتية : ١ /٣١٩ ، ٦٧٧ ، ٧٢٣ ؛ ٢ / ٤٩ ؛ ٣ /٤١ ، ٨٤ ، ٣٢٩ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ؛ ٤ /٧٦ ، ٤٤٣ . —

ب اين (في وسط السطر) K . — ت الاصل : شى . — ث يقول HW ؛ تقول K . —
ج الاصل : + شعر . — ح الاصل : كأنه . — خ الاصل : هى . —

«— قال : قد وهبته لك ! » يقول : لو كان الأمر مخصوصاً بي — لوهبته لك ؛ حيث عرفت اختصاصك بمنبع هذه العطية الجسيمة . —

« — قلت : يا عجبا ! » من أمري في هذا الشأن د التفخيم مع وجود اساطين الورثة السيادية . —

« — قال : لا تعجب ! فالفضل » في حقك . — « عظيم » ولولا سؤالك ذ : بلسان استعدادك : هذا المقام — لما بلغت . — « ألست الصهر المكرم ؟ » — أشار ، رضي الله عنه ! بهذه النكتة الغراء الغريبة ؛ الى واقعة وقعت له — قدس سره ! — في بعض المشاهد القلبية . وقد أومأ — قدس سره ! — اليها ، على سنن غريب في مبتكره ؛ المسمى « بعنقاء مغرب » في فصل ، صدر(ه) بقوله : « نكاح عقد وعرس شهيد »[٧٥٤]. فمن نظر في ذلك فهم ما هنالك ؛ ان كان من اولاد صلب مقامه وكماله . والله أعلم !

(٣٨٢) ثم قال له ، رضي الله عنه : « خذ النور الممدود » ر اي نوراً تمد به غيرك من بني مقامك الاسنى . — « فقد جاء ز الشاهد » ودنا ميقات يشهد لك بانتهائك س الى المورد الأعلى واختتامه بك ، باستقرارك في مقام من هو عين عندية رب إليه المنتهى . فقم على ساق الظفر ! و « انصب المعراج » — الى هذا المورد الغائي لمن يحن اليه برقيقة ، وينتمي الى دائرته العليا بحقيقة[٧٥٥]. وأطلق من حبس منهم في أكناف البرزخ ؛ فانك على اصل له الحكم في العالمين ، والاشراف على النشأتين ، وإطلاق التصرف في الجهتين . ومن لا حال له يقيده ؛ ولا مقام يحصره — تولى ، في إحاطة ، ملكية كل حال وكل مقام . — فلاحظ كرسي القدمين ؛ وقدم قدم الصدق بالتخصيص والتعيين ؛ وأخر قدم الجبار و « وجه اليدين » نحو المورد الاعلى ؛ منتهى اعلى العمد المعنوي ؛ فانك اذن تؤتى من رحمة الله الكافة كفلين ، وترى ، بسر اتصالك بالمستوى الأعلى ، ما في الغيبين والحسين . فافهم ما ترجم لك ، بلسان الاشارة ، القلم !

٧٥٤) انظر كتاب « عنقاء مغرب » مخطوط نافذباشا رقم ٦٨٦/٤٤ب-٤٨أ . —

٧٥٥) انظر البحث الرمزي الذي خصصه ابن عربي لهذه المسألة في كتاب « عنقاء مغرب » وعنوانه : امتداد الرقائق من الحقيقة المحمدية الى جميع الحقائق . —

د الاصل : الشان . — ذ الاصل : سؤلك . — ر المخطوط H . — ز جا W . —
س الاصل : بانتهاك . —

(شرح) تجلي الشجرة[٧٥٦]

LXXIII

(٣٨٣) الشجرة هي الانسان الكامل . مدبّر هيكل الجسم[٧٥٧] الكلّي . وانما سُمّي بالشجرة . لانبعاث الرقائق المنتشرة منه الى ما في سعة الوجوب والامكان من الاسماء والاجناس والانواع والاصناف والنسب والاشخاص . فهو . بحقيقته الجامعة ومرتبته الاحاطية ، شجرة وسطية : لا « شرقية »[٧٥٨] وجوبية . « ولا غربية »[٧٥٨] امكانية . بل أمر بين الأمرين : أصلها . غائص في السواد . منطوٍ على الاسرار ؛ فرعها . فارع في البياض . حامل [f. 76b] الانوار ؛ ساقها . مادة المحسوسات ؛ فروعها . حقائق الأمريات ؛ اوراقها : أشكال المثاليات ؛ ازهارها . التجليات الاسمائية ؛ وأنوارها ــ الظاهرةُ من غيب اصلها ــ في الحقائق الأمرية ؛ وأشكالها المثالية . أثمارُها التجليات الذاتية . المختصةُ بأحدية جمع حقيقتها الوسطية . الظاهرة فيها بسر : « اني انا الله رب العالمين[٧٥٩] ! »

قال قدس سره :

(٣٨٤) « نصبت[ا] المعراج » اي قوّيتُ رقيقة اتصالي بينبوع النور المطلق الوحداني ؛ المشتمل على بركات فيض الوجود . إذ من شأن[ب] المطلق في حصره وتقييده : ان يحدث رقيقة اتصاله الى كل عالم ؛ منها اراد .

---

٧٥٦) املاء ابن سودكين : ومن تجلي الشجرة . وهذا نصه . « نصبت المعراج .... فأخذني هيمان في المعراج » . ــ قال جامعه . سمعت شيخي يقول في اثناء شرحه هذا التجلي ما هذا معناه . « الشجرة » اصلها غربها ، وفرعها شرقها ؛ وهي لا شرقية ولا غربية . فانظر ؛ هل ترى شجرة تنزهت عن هذين الاصلين ؟ فلن [الاصل : فلم] تجد ذلك إلا الله ؛ تعالى ! فكان هذا الوصف ــ من طريق الاعتبار ــ هو احق به . ولما أقيم الشيخ في هذا التجلي وأمر بان يشغل قلوب المؤمنين نوراً ؛ فكونها نصبت بين يديه . وهو يرشها من نور معرفته وبركة مقدمه وما يهبه للمحلات القابلة من مواهب الله ؛ تعالى ! فيسري ذلك النور الى من بينه وبينه مناسبة . » [مخطوط الفاتح ورقة ٥٠٢ب] . ــ

٧٥٧) نفس التعريف نجده ؛ بشيء من التفصيل والاجمال في اصطلاحات ابن عربي واصطلاحات الفتوحات ٢ /١٣٠ ولطائف الاعلام : ٥٩ب (وهنا المؤلف يرجع الى كتاب المبشرات لابن عربي ويأتي بكلام مقارب لما ذكره الشارح في تفسيره الشجرة) .ــ

٧٥٨) جزء من آية رقم ٣٥ سورة رقم ٢٤ .

٧٥٩) جزء من آية رقم ٣٠ سورة رقم ٢٨

ا نصب H . ــ ب الاصل : شان . ــ

اقتدارًا واختيارًا : فيتصل به بسرعة . — ثم قال : «ورقيت فيه» — اي في المعراج المنصوب : بقدم الاشراف والتبصر . —

«فسلكت ت النور الممدود» — اي نورًا يُمدني في كشف لوازم التكميل . وشرائط استخراج ما استُجِنّ في الفطر المتشوقة الى المطالب الغائية . وتقوية جبّلاتها : باطعام ما دَنَتْ قطوفُها من جنَى الشجرة الكلية الكاملة . — «وجعلت قلوب المؤمنين» الذين جنحوا الى سلّم السعادة الابدية . — «بين يديّ» اي بين يديْ خبرتي الوافية الموهوبة : وبصيرتي الكاشفة الممنون بها عليهم : في مناهج ارتقائهم ث . —

(٣٨٥) «فقيل لي : اشعلها نورًا» فانّ زيت نبراس قابلياتهم ايضاً. من زيتون شجرة «لا شرقية[٧٥٨] ولا غربية». ولكن طمست عيون نبراسها بتراكم ابخرة الطبيعة وتضاعف الادخنة الامكانية : فتَنَشَّرتْ الانوار عنها . — «فان ظلام الكفر قد اكفهرّ» يقال : إكْفَهَرّ السحاب الاسود الغليظ : اذا ركب بعضه بعضاً . والمراد بالكفر : هنا : الحجب : المتراكمةُ : الساترةُ وجهَ الحقيقة الظاهرة في مرايا الكون . — «ولا يُنَفِّره ج سوى هذا النور» — المصفى لقلوبهم . المزكى لنظرهم .

قال : قدس سره : «فأخذني» بين ذلك : «هيمان في المعراج» فان سطوع النور . ابتداءًا : ح يورث البهتة والهيمان .

ت نسخة HK . — ث الاصل : ارتقامم . — ج تنفره K . — ح الاصل : ابتدآء . —

(شرح)[٧٦٠] تجلي توحيد الاستحقاق

LXXIV

(٣٨٦) «توحيد استحقاق الحق لا يعرفه سوى الحق» فانه توحيد ذاتي لا تقابله الكثرة ؛ ولا يتوقف تعقله على تعقلها . بل هو . من حيث كونه معقولاً للغير ؛ ليس بتوحيد الاستحقاق . بل لا يمكن تعقله كما هو ؛ فان المعقول — من حيث هو معقول — مقيد ؛ وهذا التوحيد : عين اطلاقه ؛ واطلاقه : ذاتي لا يقابله التقييد .

« فاذا [f. 77a] وحدناه ا . فانما نوحده ب بتوحيد الرضى ت ولسانه » وهو توحيد الفعل . والسالك إنما يذوق من مشرب هذا التوحيد ؛ اذا تقلب في الاحوال ؛ حيث يشاهد ان الاحوال ؛ الواردةَ عليه وعلى كل شيء ث — على التعاقب — فعلٌ واحد ظهر من وراء استارها . سواء كانت الاحوال قَبْضاً ج او بسطاً ؛ نفعاً او ضراً . هدايةً او ضلالة . ولذلك

٧٦٠) املاء ابن سودكين . «ومن تجلي توحيد الاستحقاق . وهذا نص التجلي : توحيد استحقاق الحق . . . . ولا عين ولا شيء » . — قال جامعه : سمعت شيخي يقول في اثناء شرحه هذا التجلي ما هذا معناه . اذا جاء [الاصل : جا] سلطان توحيد الاستحقاق لم يكن العبد ثم : لانه التوحيد [f. 26a] الذي لا يكون للعبد فيه تعمل . (و) لكون [الاصل : تكون والتصحيح من مخطوطي برلين وڤيينا] الموحد يستحق ان يكون كذلك ؛ من غير ان تثبت انت للحق — بدليلك او بفكرك — توحيداً . فتوحيده — سبحانه ! — محقق له في عدم العبد ووجوده . ولا يطلع على هذا التوحيد الا من اختصه الله ؛ تعالى ! بعنايته . وانظر [الاصل : فانظر والتصحيح من نسخة برلين] الى الربوبية وكونه ، سبحانه ! مستحقاً لها [الاصل : مستحقها والتصحيح من نسخة برلين] ؛ كيف لما اظهرها للأعيان اقروا بها جميعهم ؛ ولما ستّرها عنهم واحالهم على ادلتهم اختلفوا فيها . وكذلك توحيد الاستحقاق ؛ سواء بسواء . ومتى اشهدك الله ذلك ، تحققت بالعلم به والاقرار . واذا احالك على دليلك ؛ كنت مع توحيد الادلة وما تعطيه قوة العقل ؛ لا ما تعطيه المشاهدة . فاعلم ! واما توحيد الرضى [الاصل : الرضا] : فهو توحيد الافعال . وهو توحيد خاص لا مطلق . ولنا فيه تعمل . فتوحيد الرضى توحيد الحال . وهو رضانا بما ساء وسر ؛ ونفع وضر ؛ وحلا ومر . فيكون العبد مشغولاً بقضاء الله ؛ تعالى ! فيشغله ذلك عن تألم الطبع وغيره ؛ مع رضى العبد عن الله وتسليمه اليه مصلحته . فيقول : هو — تعالى ! — اعلم بمصلحتي . فهذا توحيد الحال ؛ وهو للسالكين . وتوحيد الدليل وهو للعقلاء المفكرين ؛ وتوحيد الاستحقاق للاكابر المحققين ؛ وتوحيد الاستحقاق توحيد ذاتي لا فعلي [الاصل : فعل والتصحيح من نسخة ڤيينا] ؛ (وهو توحيد) مشهود لا معلوم . » [مخطوط الفاتح ورقة ٢٥ب—٢٦ا] . —

ا وجدناه K . — ب توجده K . — ت الرضا H . — ث الاصل : شي . —
ج الاصل : قبضا . —

يرضى ، حائنئذ ، بما يرد عليه من مقصوده. فان لذة مشاهدته ، من وراء ستارة التهرُّ ، تشغله عن ألم الطبيعة ، الذي يجده فيه. وربما ان يستعذب التهر ويلتذ به. كما أنبأ ح الواجد عن نفسه بذلك، حيث قال[٧٦١]:

اريدك لا اريدك للثواب ولكني اريدك للعقـــاب !
فكل مآربي خ قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب !

قال : «**فقنع**» د اي الحق — تعالى ! «**منا بذلك**» اي بتوحيد الرضى، حيث لا تعمّد لنا في غيره.

(٣٨٧) «**فاذا ذ جاء ذ سلطان توحيد الاستحقاق، لم نكن ر هناك ز**» إذ لا يطلب هذا التوحيدُ الغيرَ ولا يتوقف حصوله وثبوته عليه. «**فكان التوحيد**» اي توحيد الاستحقاق حائنئذ ، «**ينبعث عنا ويجري منا**» بلا أعياننا ، — «**من غير اختيار**» منا ، فان التوحيد عين الحق الظاهر بنا ، نحن ، اذ ذاك ، به لا بنا. ولذلك قال : «**ولا هم ولا علم ولا عين ولا شيء**» س من هذه الحيثية يضاف الينا. فافهم !

٧٦١) يردد ابن عربي هذين البيتين مراراً في الفتوحات وينسبها احياناً الى ابي يزيد البسطامي ، انظر الفتوحات ١/١١٥، ٢٤٧/٢٦٦ ، ٤٠٨/٤، ٥٢٤، ٦١٤، ٦٥٧؛ ٤/ ١٨٥.

ح الاصل : انباه. — خ الاصل : ما آرى. — د فيقنع K ، فيقع H. — ذ — ذ ، ناحا H ؛ جا W. — ر يكن KH. — ز هنالك K. — س شي PW ؛ شى HK. —

(شرح) تجلي نور الغيب[٧٦٢]

LXXV

(٣٨٨) هذا النور اذا اشتد ظهوره : لا يكشف فيه شيء[١] قطعاً. فهو ـ من فرط ظهوره : حجاب. والغيب به ـ بالنسبة الينا ـ غيب. واذا خفي. أعطى الكشف والاطلاع.

---

٧٦٢) املاه ابن سودكين. ومن تجلي نور الغيب. وهذا نصه. « كنا في نور الغيب . . . . وجرت بينه وبين ذي النون المصري. وانصرفت ». ـ قال جامعه: سمعت شيخي يقول في اثناء شرحه هذا التجلي ـ هذا معناه. «ليس كمثله شيء»: هذا هو توحيد العقل. وقوله (تعالى) «وهو السميع البصير»هذا هو توحيد الايمان: يدرك هذا بنور الايمان. ولهذا قال سهل. رحمه الله: ان نور المعرفة نوران: نور عقل ونور ايمان. واما قوله: «نور الغيب»: فان النور اذا كان قوياً في نفسه: فمن شرطه ان لا يكشف لك فيه شيء (الاصل: شي). فان كشف لك فيه شيء فضعف النور: فالنور القوي هو الحجاب: وهو نور الغيب. ـ واعلم ان الايمان يتعلق بالغيب: ويثبت ما حصل الايمان به. ونور الايمان يكشف ما اثبته الايمان وصدقه. وقد اثبت الايمان انه (تعالى!) «بصير» بلا حد: و «سميع» بلا حد. فالايمان يعم العقل وزيادة. لانك اذا وقفت مع ما يستقل به العقل: وهو انه (تعالى!) «ليس كمثله شيء». فحينئذ لا يثبت العقل ـ من حيث دليله ـ انه (تعالى!) سميع بصير (الاصل: سميعا بصيرا): اذ تقع المماثلة (عنده بين الخالق والمخلوق). وقد تقرر عنده انه (تعالى!) «ليس كمثله شيء». والايمان اثبت ذلك. واثبت كونه (تعالى!) سميعاً بصيراً. ثم كشف نور الايمان هذه [f. 26b] الزيادة. التي لم يكن في قوة العقل اثباتها. ـ ثم اخذ سهل يفصل النورين بما تقدم ذكره. وقصد تنزيه الحق بذلك. فقلت له: قد حددته. بما حكمت عليه به. من حيث لا تشعر: لقولك «لا حد له». ومن كان حده «ان لا حد له»: و «لا حد له» هو حده! وأما الجواب. هينا: (ف) هو السكوت او الجمع بين الضدين. فقلت له: هذا سجد قلبك من اول قدم لكونه قصد السجود دون غيره. اذ لم يكن هذا التميز أولى بقلبك من غيره: اذ السجود حالة مخصوصة من بين احوال عامة. وقلب العارف لا يتقيد: بل جميع الاحوال عنده بنسبة واحدة. فكيف لك (أن) حددت قلبك بالسجود الأبدي؟ (ف)دل ذلك على انك حددت الربوبية بأمر حكمت به عليها. وقد تلتبس الربوبية بالعبودية في تجليات كثيرة: فتطلب (أنت) الاطلاق فلا تجده فيخرج منك «حدك»: الذي اعتمدت عليه: من كونه (تعالى!) «لا حد له». ـ واما نزوله (أي سهل التستري) بين يدي الشيخ: فكان اختياراً من الشيخ في حقه. لانه قال بغير حد. ولما دعاه الى النزول بين يديه: رأى [الاصل: را] الحق يدعوه في مظهر الشيخ. فنزل بين يديه وأخذ عنه: لكونه مظهراً من مظاهر الحق، والمظهر هو الحد. فقد اخذ عن الحد: ولزمه ثبوت الحد. ولما نفي سهل رأى الحق كما ذكر له الشيخ. ـ واما قول الشيخ له «وهل الجواب عنه إلا السكوت» ـ يعني التوحيد: [الاصل: ÷ فهو وكذا مخطوط قيننا ولعل الصواب: التوحيد = «هو»] لان التوحيد لا لسان له لكون اللسان انما هو للخطاب: والخطاب يستدعي مخاطباً ثانياً: واذا حصل الثاني

---

١ الاصل: شي. ـ

قال ، قدس سره : « كنا في نور الغيب . فرأينا سهل بن عبدالله[٧٦٣] التستري . فقلت له : كم انوار المعرفة ؟ يا سهل . — فقال : نوران : نور عقل ونور ايمان[٧٦٤] . — قلت : فما مدرك نور العقل ؟ وما مدرك نور الايمان ؟ — فقال : مدرك نور العقل : «ليس كمثله شيء » » اذ في قوة العقل ان يستقل في « التنزيه » . ويبلغ غاية التحقيق فيه . وليس له ان يستقل في شيء « التشبيه » إلاّ بضرب من التأويل وصرفِ النصوص عن ظاهرها الى وجهٍ يرجع الى اصل « التنزيه » .

« ومدرك نور الايمان : الذات ث بلا حدّ » اي الذات باعتبار سلب الاعتبارات المحدودةِ عنها . فأخرج بهذا القيد حيثية ظهور الذات في المظاهر ٌ التي هي الحدود . والذات ، مع كونها لا حدّ لها في حقيقتها ، [f. 77b] لها في كل اسم ، بحسب حيطته ، حدّ . ونور الايمان يكشف ما اثبته الايمان عند تعلقه بالغيب . فأثبت (الايمانُ) انه — تعالى ! —

(المخاطَب) فلا توحيد . فالجواب في التوحيد انما هو السكوت . فلذلك نبه الشيخ عليه . — وما قول الشيخ : « فأجلست الى جنب الثوري » فالاشارة فيه لاتفاقهما في العبارة والأمور المحمودة. — وقوله : « وآخيت بينه وبين ذي النون المصري ، اي لاشتراكهما في الذوق الباطن ، فكانت اخيها [الاصل : لها والتصحيح من مخطوط ليدنا] حقيقة واحدة . لانه قد يقع الاشتراك في امر ما ، بين اثنين فيأخذه احدهما كشفاً وذوقاً من الباطن ، ويأخذه الآخر من باب التعليم وصفاء الذهن والعقل ، فاشتركا من وجه وتفرقا من وجه . فمثل هذا (الأخير) يقال فيه : اجلسته الى جانبه ، لكونهما اتفقا في الوجه الظاهر من المقام . واما اذا شاركه في الاصول الغيبية ، فقد رضع معه من الأم وشاركه في امور الفطرة الذاتية : فاخذها من « ام الكتاب » في اول مراتبها. فتحقق ! » [مخطوط الفاتح ورقة ٢٦ا-٢٦ب] .

٧٦٣) « هو سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى بن عبدالله بن رفيع . كنيته ابو محمد . احد أئمة القوم والمتكلمين في علوم الرياضيات والاخلاص وعيوب الافعال . صحب خاله محمد ابن سوار وشاهد ذا النون المصري سنة خروجه الى الحج . توفي عام ٢٨٣ او ٢٩٣ . » انظر ترجمته في المصادر الآتية : طبقات الصوفية للسلمي ٢٠٦–٢١١ ونتائج الافكار القدسية ١/١٠٩–١١٣ وشذرات الذهب ٢/١٨٢–١٨٤ ومرآة الجنان ٢/١٤٨ والرسالة القشيرية ١٨ والحلية ١٠/١٨٩–٢١٢ وطبقات الشعراني ١/٩٠ ومعجم البلدان ١/٥٠٨ ، ٣/٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٤/٨٣٧ وسير اعلام النبلاء ٩/٧٦ والمنتظم ٥/١٦٢ ووفيات الاعيان ١/٢٧٣ وتاريخ الاسلام ١٦/٦٢ واللباب ١/١٧٦ ونصوص لم تنشر للماسنيون ٣٩ وما بعدها واصول الاصطلاحات الصوفية (= L.T.) ٢٩٤ وما بعدها ودائرة المعارف الاسلامية ٤/٦٤ (النشرة الفرنسية) .

٧٦٤) قارن هذا بالفتوحات ٣/٧٨ وبكتاب الوصايا لابن عربي ، وصية رقم ٢ وما بعدها وكتاب المسائل ، مسألة رقم ٥٥ . —

ب رأينا W ، رأينا K ، فرأينا P . — ت ما H . — ث للذات H

«سميع بصير». فأثبت فيها مالزمه ثبوت الحد؛ وأثبت ايضاً انه «سميع» بلا حد و«بصير» بلا حد. فأثبت ايضاً ما أثبته العقل تنزيهاً.

(٣٨٩) قال، قدس سره: «— قلت» له: «**فأراك** ج **تقول بالحجاب**» حيث قيّدت الذات بلا حد؛ والتقيد حجاب. —

«— **قال: نعم! — قلت: يا سهل**» انت مع تحرزك عن التحديد. «**حدّدته من حيث لا تشعر**» اذ من وُصف بأنْ لا حدّ له، فلا «حدّ له» هو حدّه. «**لهذا تجد قلبك**»[٧٦٥] اي لقولك بالحجاب والتقييد: انحصر قلبك في السجود من العبادات الذاتية دون غيره. ومقتضى حال القلب ان يحاذي، في كل آن، شأنَ الحق بعبودية يقتضيها ولا ينحصر في شيء منها. «**فمن** ح **أول قدَم وقع الغلط**» فانحصرتَ وكنتَ، برهة من الزمان، تقول لمَ يسجد القلب؟ حتى سمعت العبّاداني يقول: للأبد[٧٦٥A]! — فلما انفحم سهل، رحمه الله! «— قال» له: «قل» = له: ما عندك من الاجوبة التي يستحقها سؤالك؟ — «**— قلت: حتى تنزل** د **بين يديّ**» تنزل من يُلقي القياد الى محل المراد. ولما قيّد سهل، رحمه الله! مدركه الايماني بقوله: «بلا حد» — دعاه، قدس سره! الى نفسه، بقوله: «حتى تنزل بين يدي». فامتثل، وألقى قياد قابليته اليه. — «**فجثا**» — بين يديه — فشاهد الحق في حدّ مظهريته فلزمه ثبوت الحد في مدركه الايماني؛ كما لزمه عدم ثبوته من حيثية مشهدٍ قال فيه: «بلا حد». —

(٣٩٠) «**— قلت** ذ» له: **يا سهل**؛ **مثلك من يسأل** ر **عن التوحيد فيجيب؟ وهل الجواب عنه، إلاّ السكوت؟**» او الجمع بين الضدين بمعنى ان تقول: بحدٍّ، وبلا حدٍّ. «**تنبَّه يا سهل!**» لما فات عنك في مدرك التوحيد.

«**— فنبي**» اذ ذاك سهل فيما شاهد من مظهريته، قدس سره!

---

٧٦٥) أنظر الفتوحات ١/٧٦، ١٥؛ ٢/١٠٢؛ ٣/١٦، ٨٦، ٣٠٢.

٧٦٥A) أنظر ما تقدم تعليق رقم ٤٨٢. —

ج ما راك W؛ فاراك K؛ اراك P. — ح من HKW. — خ الاصل: سؤالك. — د بيديك HK. — ذ فقلت HWK؛ + H له HWK (في اصل المتن). — ر يسئل W؛ يسال K، سال P. —

«ثم رجع» بوار(د) الصحو الى مدرك نتائج الفناء ؛ — «فوجد الأمر كما ز أخبرناه . — فقلت : ياسهل ؛ أين انا منك» في هذا المدرك الغريب ؛ «— قال : انت الامام في علم التوحيد ، فقد علمت» ما لم اكن أعلم في هذا المقام» حيث علمت ان التوحيد الذاتي لا لسان له[٧٦٥B] .

وقد كَلَّ لسان من عرف الحق بهذا التوحيد ! واللسان انما هو للتخاطب. والتخاطب يستدعي المتخاطِبَيْن . فاين التوحيد ؟ — ثم قال : «فانزلته س الى جنب النوري[٧٦٦] في علم التوحيد» — لاتفاقهما في المشرب . يقال : اجلست فلاناً الى جنب فلان . اذا وجدهما على رأي في امر . — ثم قال : «وواخيت بينه وبين [f. 78a] ذي النون المصري»[٧٦٦ا] فانه وجدهما في التوحيد مرتضعيْ ثدي واحد . فان ذا النون قال : «ان الحق بخلاف ما يتصور ويتخيل ويتمثل»[٧٦٦ب] . فأخلى الكون عنه . مع انه لا يقوم الا به . وان سهلاً حدّ الربوبية «بلا حد» . فأخلى الحدود عنها . ـب

ثم قال : «وانصرفت» من المشاهد المشحونة باللطائف الفهوانية الى عالم الاحساس !

٧٦٥B) النص ثابت في كتاب «الاعلام باشارات اهل الإفهام» لابن عربي : «باب في التوحيد . قال بعضهم : (التوحيد) لا لسان له ، اذ لا مخاطب . ومنهم من قال : لا لسان يتميز (به) ، بل الألسنة كلها لسانه : فخطابه يتردد اليه منه» (ص ٤ ، ط. حيدرباد).—

٧٦٦) ابو الحسين النوري واسمه احمد بن محمد وقيل : محمد بن محمد . بغدادي المنشأ والمولد ، خراساني الاصل . صحب سري السقطي ومحمد بن علي القصاب ورأى احمد بن ابي الحواري. توفي سنة ٢٩٥ه ، ترجمته في طبقات السلمي ١٦٤–١٦٩ والبداية والنهاية ١١ /١٠٦ وسير اعلام النبلاء ٩ /١٥٦–١٥٨ والمنتظم ٦ /٧٧ وتاريخ بغداد ٥ /١٣٠–١٣٦ والحلية ١٠ / ٢٤٩–٢٥٥ وصفة الصفوة ٢ /٢٩٤ وطبقات الشعراني ١ /٢٦ .

٧٦٦A) انظر مصادر ترجمة ذي النون المصري في التعليق المتقدم رقم ٦٨٦ ؛ تجلي رقم ٥٩ . —

٧٦٦B) انظر ما يتعلق بهذا النص في التعليق المتقدم رقم ٦٨٧ ؛ تجلي رقم ٥٩ .—

ز على ما HKW . — ص وانزلته HK . ـب

(شرح)[٧٦٧] تجل [1] من تجليات التوحيد

LXXVI

(٣٩١) اذا بدا برق هذا التجلي من جانب الغور الانساني . وهي مدرارة من سماء التبهوانية — ظهرت . في الارض الأريضة القلبية . رغائب

٧٦٧) املاه ابن سودكين . «ومن تجليات التوحيد . وهذا نصه . «نصب كرسي في بيت . . . . . . والعبد عبدي » . — قال جامعه : سمعت شيخي — سلام الله عليه ! — يقول في اثناء شرحه هذا التجلي ما هذا معناه . قوله : « نصب كرسي ... مسترية على ذلك الكرسي» . اراد « بالبيت » مقاماً او حالاً . واما « الكرسي » : فحال المتجلي وهو الحضرة التي ظهرت فيها الألوهية . و « البيت » ايضاً هو الذي ظهر فيه العبد . قوله : . « فظهرت الالوهية » . اي ظهرت جميع « الاسماء » . لان الألوهية انما هي « المرتبة الجامعة » . قوله : « عليه ثلاثة اثواب » : « الثوب الذاتي هو ثوب العبودية ؛ والثوب الذي لا يرى هو كل علم لا يقال . والثوب المعار هو كل علم تقع [الاصل : يقع] فيه الدعوى ؛ فيقال فيه : فلان عالم . والعارف يعلم ان العالم غيره لا هو ؛ فانه ما علم الاشياء الا الحق ؛ — فهذا معنى [الاصل : معنا] (الثوب) المعار . وقول المرتعش ؛ لما سأله الشيخ عن نفسه : « سل منصوراً » ؛ فأحال على غيره فكان ذلك دعوى منه . لكونه لو اجاب عن نفسه لما زاد على اسمه . فلما أحال على غيره ، علم ان ذلك الغير يعين مرتبته للسائل عنه ليراه بعين كبيرة . فكانت هذه الحركة عن دعوى منه . فلذلك لما قال نسبه غيره عن اسمه « المرتعش » . اجابه [ناقصة في الاصل ثابتة في خطوط ثينا] بما اجاب عنه ؛ ليعلم ان حركات العارفين انما تبنى على اصول محققة . قال الشيخ : ولما سألت عن توحيده على ماذا بناه ؛ قال : على ثلاث قواعد : فلذلك كان لباسه ثلاثة [الاصل : ثلاث] اثواب . وايضاً ، فان هذا شرط علم الدليل وهو علم العقلاء . وليس علم المحققين كذلك ؛ فان توحيدهم توحيد النسب . — وقوله : « قصمت ظهري» ؛ فقلت له [الاصل : فقال] : سل [الاصل : سهل] سهلاً وغيره عن هذه الصفة ؛ فانهم يشهدون [الاصل : يشهدوا] بكمالها لا بكمالي . — واما شرح الابيات ؛ وهو قوله : « رب وفرد ونفي ضد » . فالرب ؛ هنا : هو الثوب المعار . و « الفرد » هو الثوب الذاتي . و « نفي ضد » هو الثوب الذي لا يرى . (و) قوله : « قلت له : ليس ذاك عندي» ؛ اي لم يكن توحيدي على هذا الأمر ؛ بل كله — عندنا — واحد . لكونك انت اثبت ثم نفيت ؛ وفي نفس الأمر ، ليس ثم ضد . فبقينا نحن على الأصل . واما « الرب » فلا يشارك على التحقيق . فلم يبق الا « ثوب العبودية » المحضة ؛ فتبقى في قبالتنا « ربوبية محضة » . — وقوله في البيت الثاني : « فقال : ما عندكم ؟ فقلنا : وجود فقد وفقد وجود . » اي : تارة انظرني من حيث هو ، وتارة من حيث انا . فتارة اكون موجوداً به ؛ عند مخاطبته اياي بالتكليف ؛ وتارة اكون معدوماً بمشاهدته : فيوجدني بالتكليف ويفقدني بالشهود ! — وقوله في البيت الثالث : «توحيد حقي بترك حقي » . اي : انه لما اثبت حقي ، كان تركه حقي ؛ لكونه — تعالى ! — انما أثبته امتناناً منه لما لا تعطيه حقيقتي : وحقيقتي تعطى ان لا حق لي ! فتوحيد حقي الصحيح أن اكون وحدي على ما تعطيه حقيقتي الاصلية ؛ بيتاتها وحدها [fol. 27b] ، معراة عن اوصاف الربوبية التي هي اثواب معارة على العبد . وههنا [الاصل : وهاهنا] ترك الاكابر التعريف في الوجود لما

1 تجل HK . —

آبار وبئت فيها عجائب أسرار . ولكنما الطريق الموصل الى فيهما مشحون بالقواطع المبيدة ، والصواعق المحرقة . فمن كان برق استعداده خُلّباً . لا يستتبع الغيث الهامع ، فليقنع من المطالب ، التي عليها طلاسم الصواعق ، بالخيال الزائر ؛ وليلزم بيت التقاعد ولا يتعدى طوره . —

(٣٩٢) قال ، قدس سره : « **نصب كُرسِيّ ب في بيت من بيوت المعرفة بالتوحيد** » الكراسي هي الحضرات الالهية . التي هي موارد التجليات . والبيوت هي المقامات والاحوال العبدانية ، المنتجة للمعارف . فلا بد . لكل كرسي ت منها ، من بيت يكون محلّ نصبه ، ولكل حضرة ، من مقام وحال هو موقع تجليها . فالكرسي ت المنصوب بتوحيد الالوهية ، في بيت من بيوت المعارف ، هو حضرة مخصوصة الهية . قاضية بهذا التجلي في مقام معرفة هذا العبد المخصوص . —

ثم قال : « **وظهرت الالوهية** » بتوحيدها . « **مستوية على ذلك الكرسي ث** » اي على الحضرة ، الجامعة جميع الحضرات الاسمائية ، المتجلية لهذا العبد في مقامه الجمعي الوسطي القلبي . وهذا المقام هو الذي نصب فيه هذا الكرسي ث ، المعبر عنه بالحضرة الجامعة . نصباً مثالياً يعطي حكم التنبوانية . ولذلك قال : « **وانا واقف** » فان السائر المنتهي الى الوسط ، الذي هو محل الاشراف . لا سير له . ولهذا يسمى المقام الوسطي ، بوقوف

أعضاؤه ، عندما رأوه عندهم عارية . — وقوله في البيت الاخير ، الذي ختم به التجلي : « ظهرت في برزخ ... » اي : بين حضرة الرب والعبد . تارة ينظر الربوبية وتارة ينظر العبودية وتارة ينظر حقه الذي من علي به : فاعامله بما تقتضيه الربوبية . وتارة انظر الى عبوديتي فاعامله بما تقتضيه العبودية . وهذا البرزخ لا يقام فيه الا الاكابر من الرجال . فيأخذ من الربوبية علوماً ويلقيها على العبودية ، ثم يبرزها اعمالاً . — وقوله : « الرب ربي » ؛ اي : الرب الذي لي خاصة لانفرادي له وعدم الوسايط بيني وبينه . وقوله : « العبد عبدي » ، اي : خرجت عن الاكوان كلها على اختلافها ، وصرت مهما اخذته من ربي خلعته على الأكوان وعينت مراتبها بما القيه عليها من حضرة الربوبية ؛ وأنا أعرج تارة الى هذا المقام الارفع (مقام الربوبية) وتارة أتدلى الى الاكوان عند وجود التكاليف (ف) انزل الى الأكوان واقوم بوظايف التكاليف ، ثم اعود . والدليل على ذلك ، حديث « القبضة » الذي ذكره أبو داود السجستاني في سننه ، (ف)قد تعين في ذلك الحديث ما ينبه على مقام البرزخ ، الذي كان آدم — صلوات الله وسلامه عليه ! — فيه . وتعين فيه ايضاً تدليه الى عالم التكاليف ليعمرها ، ثم ترقيه الى مقامه . فانظر مناسبته في نص الحديث تجدها ، ان شاء الله تعالى ! » [مخطوط الفاتح ورقة ٢٦ب—٢٧ب]. —

ب كرسي KP ، كرسى W ، كرسي H . — ت الاصل : كرسى . — ث الكرسى H KPW . —

السائر فيه : موقتاً . وفي كل مقام وسط يقف السائر فيه لاستيفاء مراسمه وحقوقه . —

(٣٩٣) ثم قال : «وعلى يميني رَجُل» يمينُ موقفه هو مورد التجلي ومشرق أنواره ، «عليه ثلاثة ج اثواب : ثوب لا يُرَى وهو الذي يلي بدنه» وهو صورة علمه ، الذي لا ينقال ، ظهرت له في المشهد الخيالي ثوباً سابغاً . فان الصفة كالكسوة المعنوية للموصوف بها ؛ «وثوب ذاتي له» وهو صورة عبوديته ، التي هي صفته [f. 78b] الذاتية . المتحقق بها كل جزء وكل عضو من ذاته ؛ «وثوب مُعَار عليه» وهو صورة كل علم تقع له فيه الدعوى ، ويلبس بسببه ثوب الشهرة . حتى يقال فيه : إنه عالم محقق في كذا وكذا . والعارف يعلم حقيقةً ان العالم . في مظهريته . غيره ح لا هو . فان العلم صفة الوجود ، و(هو) لا وجود له في ذاته (من ذاته) . —

ثم قال : «فسألته ح : يا هذا الرجل ، من انت ؟ — فقال : سَلْ [٧٦٨] منصوراً خ» .

ولم يجب عن نفسه . فانه لو اجاب — لما زاد على اسمه . فكان اسمه — ابتداءً خ — يشعر بالوَهن والاضطراب في أمره . بما تقرر عندهم من المناسبة الاخية والروحانية والطبيعية بين الاسم والمسمى .

(٣٩٤) «واذا بمنصور خلفه» قال . قدس سره : «— فقلت — لمنصور د : «يا ابن ذ عبدالله من هذا ؟ — فقال : المرتعش [٧٦٩] . —

---

٧٦٨) منصور بن عبدالله بن خالد بن احمد ، احد رواة طبقات الصوفية للسلمي . حدث عن جماعة من الخراسانيين ؛ مات بعد الاربعماية (انظر طبقات الصوفية : فهرس الاعلام وتاريخ بغداد ١٣/٨٤ وميزان الاعتدال ٣/٢٠٢) . —

٧٦٩) «ابو محمد ، عبدالله بن محمد المرتعش النيسابوري من محلة الحيرة . صحب اباحفص الحداد وابا عثمان الحداد ، ولقي الجنيد وصحبه . اقام ببغداد حتى صار احد مشايخ العراق وأئمتهم . وكان يقال : عجائب بغداد في التصوف ثلاث : اشارات الشبلي ونكت المرتعش وحكايات جعفر الخلدي» (طبقات الصوفية ٣٤٩.) وانظر تراجم حياته في المصادر الآتية : تاريخ بغداد ٧/٢٢١ ؛ طبقات الشعراني ١/١٢٣ ؛ شذرات الذهب ٢/٣١٧ ؛ الرسالة القشيرية ٣٤ ؛ نتائج الافكار القدسية ١/١٨٩ ؛ طبقات الصوفية للسلمي ٣٤٩–٣٥٢ ؛ جذوة الاصطلاء ورقة ١٢٣٠ا ؛ والحلية ١٠/٣٥٥ ؛ صفة الصفوة ٢/٢٦١ . —

ج ملثة KP . — ح مسالك W ؛ نسالك K . — خ منصور HKW . — خ الاصل : ابتداء . — د الاصل : لمنصور . — ذ أبا H ؛ بن K . —

فقلت : اراه من اسمه مضطرًا لا مختارًا . — فقال المرتعش : بقيت على الاصل » الذي لا وجود له ؛ والاختيار : صفة الوجود لا صفة العدم . — « والمختار ، مُدّعٍ ولا اختيار . — فقلت : على ما بنيت ر توحيدك ؟ — قال : على ر ثلاث ز قواعد » كما كان عليه ثلاثة س أثواب . — « — فقلت : توحيد ، على ثلاث ش قواعد ، ليس بتوحيد » في عرف التحقيق . فان نسبته تختلف باختلاف نسب القواعد . ومقتضى صرافة التوحيد . خلوصه عن الكثرة المعنوية ايضاً . ولهذا قال علي ، رضي الله عنه ! « وكمال الاخلاص له ، نفي الصفات عنه » . فان نسبًا تشعر بالكثرة المعقولة ؛ ومتعلق كمال الاخلاص ، كمالُ التوحيد ، الذي هو مبنى كل كمال .

« فخجل ! — قلت : لا تخجل ! ما هي ؟ » اي ما تلك القواعد الثلاث ؟ ص « — قال قصمتَ ظهري ! » بتعرضك الوارد عليّ . اذ لا يمكن ان اقول : ان اختلاف نسب القواعد الثلاث ص ليس بقادح في صرافة التوحيد . ولو قلت ، لكان ذلك من طريق علماء الدليل . واما مذهب التحقيق فيها — فغير ذلك . فان مقتضى صرافته ، عندهم ، اسقاط النسب والاضافات مطلقا . فلا يصح التوحيد الشهودي مع ثبوتها .

« — قلت : اين أنت من سهل والجنيد وغيرهما وقد شهدوا بكمالي ؟ » في التوحيد والتحقيق فيه .

(٣٩٥) « — فقال ، مجيباً بقواعد توحيده :

» رب وفرد ونفي ضد[٧٧٠] .

» قلت له ليس ذاك عندي »

فان مجموعته — الثلاث ص — نسبة عقلية . وكل فرد منها ، مشعر بثبوت النسب . اما كون مجموعته نسبةً : فظاهر . فأما الرب — ولو جعلته من الاسماء الذاتية — فمشعر ، بمجرد التسمية به ، بثبوت نسب الربوبية ،

---

٧٧٠) روى السلمي في طبقاته . « وبهذا الاسناد : قال المرتعش : اصول التوحيد ثلاثة اشياء : معرفة الله تعالى بالربوبية ، والاقرار له بالوحدانية ، ونفي الانداد عنه جملة » (ص ٣٥١ / رقم ٦) . وجاء في جذوة الاصطلا : « قال المرتعش : اصل التوحيد ثلاثة اشياء : معرفة الله بالربوبية والاقرار بالوحدانية ، ونفي الانداد عنه جملة » ، مخطوط جامعة :
Yale, *Bibl. Univ.* Landllerh. II 64, f. 25 b.

ر بنيت H . — ز — H . — ز ثلث K ؛ ثلث PW . — س الاصل : ثلاثه . —
ش ثلث WP ؛ ثلث K . — ص : الاصل : الثلث . —

القاضية بثبوت المربوبات . والفرد . مشعر [f. 79a] بثبوت ما انفرد عنه من السوى . فان الفردية لا تكون الاّ في العدد . والنفي : مشعر بثبوت المنفي في الجملة . فان نفي المنفي تحصيل الحاصل . وكل ذلك : محالٌ في صرافة التوحيد : في مذهب التحقيق .

كأنه — قدس سره ! — يقول : ليس توحيدي مبنياً على ما بنيته عليه . اذ لا وجود للسوى : عندي . حتى يشترك مع الرب في الوجود . فتميزه الفردية عنه : فان الامتياز مترتب على الاشتراك . ولا اشتراك . او يتصف بالضدية . فيتوجه النفي اليها لرفعها . بل هو عين السوى وعين الاضداد — كما يجيء ض بيانه في « تجلي العزّة » . وهو يتلو هذا التجلي . —

(٣٩٦) « — فقال : ما عندكم ؟

» — فقلنا : وجود فقدي وفقد وجدي ! »

ترجم . قدس سره ! هذا البيت بما معناه هذا : في بعض املائه ط : يقول : « تارةً : أنظرُني من حيث هو . وتارةً : من حيث أنا . فتارة : أكون موجوداً به : عند مخاطبته اياي بالتكليف . وتارة : اكون مفقوداً في نفسي : بمشاهدتي إياه . فيوجدني بالتكليف . ويفقدني بالشهود . » اذ متعلق الشهود العينُ . عند ذهاب الرسوم ومحو الموهوم .

ثم قال : « توحيد حقي بتركِ حقي » اي توحيدي المخصوص بي : وحدي : هو بتركي حقي ، الذي ظهر منه — تعالى ! — امتناناً لي . وذلك دو الوجود : الظاهرُ بحقيقتي الاصلية : الباقية — حالةَ ظهوره فيها — على عدميتها : واوصافُ الربوبية : التي هي ثوب معار علينا .

« وليس حقي سواي وحدي »

قوله : « وحدي » : تتمةٌ للمصراع للاول . وقوله : « وليس حقي سواي » : جملة حالية : معناها : ان الحق — تعالى ! — مع تركه له ما ظهر له منه : ليس سواي . اذ الوجود : من حيث هو حقي الظاهرُ له منه : عينُه في الحقيقة . بل هو الذي تجلى بعينه في حقيقتي : القابلة بحسبها : فالعين : في الحقيقة : له : والحكم لي . فافهم !

(٣٩٧) « — فقال » المرتعش : « الحقني بمن تقدم » اي بمن اهتدى الى ما فات عنه عاجلاً من اسرار التوحيد : بك .

ض الاصل : يجيء . — ط الاصل : املاءه . —

« ـــ فقلت ظ : نعم ! وانصرفت . وهو يقول :

» يا قلب سمعاً له وطوعاً ع قد جاء غ بالبينات بعدي ف

» فالتفت اليه وقلت :

» ظهرت في برزخ غريب »

لا يأوي اليه إلاّ نزرٌ من الافراد . وهو يعطي الحكمين . حتى اذا نظرتُ الى وجودي ، الذي هو موقع التكليف ومورد الخطاب ـــ قلت : بلسان حقيقتي الاصلية :

« فالرب ، ربي ! »

واذا نظرت اليّ ، من حيث إني « لا انا » . بل « انا » به « هو » كان ، « هو » : لساني وسمعي وبصري ويدي . فقال حينئذٍ :

« والعبد ، عبدي ! » [f. 79b]

فافهم ! وأمعنْ في هذا السر الموسوم واشرب من رحيقه المختوم !

ظ قلت KH . — ع وطاعه K . — غ جا W . — ف بعد KH . —

(شرح) ١ تجلي العزة(٧٧١)

LXXVII

(٣٩٨) العزة . المنعة والغلبة . — هذا التجلي يعطي الاطلاع . شهوداً . على وجهٍ يعطي منع العقول عن ادراك حقيقة الحق وجمعها

---

(٧٧١) املاء ابن سودكين : « ومن تجلي العزة . وهذا نصه . « ان قيل لك : بماذا وجدت الحق . . . . واتقه بالمبتدين من عبدي » . — قال جامعه : مستجلي مشاهدة البروق اللامعة من ثغور الشبرانية عند تجليها من الحضرة الخطابية ، نفع الله به : سمعت شيخي وامامي مظهر التجليات ومفيضها على المحلات القابلات . المنفرد في وقته بدرج النهايات ورتب الكمالات : محمد بن علي بن محمد بن احمد بن العربي ، الطائي . رضي الله — تعالى ! — وارضاه : وجمعني معه في كل موطن جمعاً اقوم فيه بحق حرمته وكمال رتبته ، بمنه وفضله — يقول في اثناء شرحه هذا التجلي ما هذا معناه . تجلي العزة : المراد به هنا المنع ؛ و(ما) يقع [fol 28a] فيه من الغلبة . — قوله : « تأدب » وغيره . وذلك عند منازعة العقول خاصة . والمنع ذاتي للنفس ؛ والغلبة انما تكون عند وجود الخصم . — واعلم : ايها القابل للفيض الالهي : ان النفس تدرك بالعقل الامور المعقولة : وتدرك بالحواس الأمور المحسوسة ؛ ولها مدرك آخر لذاتها من غير آلة من القوى . فما ادركته بمجرد ذاتها . من غير آلة : كان ذلك المدرك وراء طور العقل ؛ وهو لأصحاب الفيض الالهي [الاصل : الالوهي] : ارباب الحقايق : وهم المخاطبون بلسان هذه الحضرة : دون غيرهم . واذا علم هذا : فاعلم ان الحق — تعالى ! — لما وصف نفسه بالجمع بين الضدين : من كونه اولاً وآخراً وظاهراً وباطناً . كان للعقل ههنا [الاصل : ها هنا] مدرك آخر : وهو اثبات هذه الاضداد من وجوه مختلفة : وذلك مدرك العقل وحده . فما من كون موصوف بامر ما إلا ويسلب عنه ضده . كقولنا : فلان عالم بزيد : فمحال ان يكون جاهلاً به من وجه علمه به . وأما الفيض الالهي [الاصل : الالوهي] : فانه أعطى ان ذلك من وجه واحد للحق — تعالى ! فهو « اول » من حيث هو « آخر » ؛ و « ظاهر » من حيث هو «باطن» . وهذا مدرك الحقيقة الانسانية مجردة : خاصة بالفيض الالهي . فكل نسبة نسبناها الى الحق ؛ لو كانت ، من وجهين مختلفين : تستحقها الذات — لكان هو تعالى ! في نفسه محلاً للكثرة ؛ وهو — تعالى ! — واحد من جميع الوجوه . فينزه عن ذلك — تعالى ! ثم يقال : بم أنكر المنكر اتصاف الجسم بالجمع بين الضدين ؟ فيقال : بمعرفتنا بحقيقة الجسم حكمنا عليه بذلك . فيقال : هل عرفتم ذات الحق بالحد والحقيقة ، لتعلموا هل يصح قبول الضدين ام عدمها ؟ — فهذا يظهر لك الفرق وعدم التحكم على الله : تعالى ! اذ الذات مجهولة . وقد اضاف هو — تعالى ! — اليها أحكاماً واضداداً لا يمكننا رفعها عقلاً لجهلنا بالذات الموصوفة بقبول الاضداد وغير ذلك . — واعلم ان المجهول الذات لا يصح لكون ان يحكم عليه اصلاً . انما يحكم عليه بما حكم به — تعالى ! — على نفسه . فلا يصح ان يقال : انه يقبل النفي والاثبات والعدم والوجود . ويكون هذا جدلاً من الخصم . كقولنا : انه جمع بين الضدين : من كونه — سبحانه — اطلق ذلك على نفسه ؛ فقال : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » . فرأينا جميع الذوات التي نحن عارفون بحدها وحقيقتها تقبل هذه الاولية والآخرية على البدل . فتكون اولاً بنسبة ، وآخر بنسبة (اخرى) . فنسبنا اليها ما يليق بها . ونظرنا الى الحق — تعالى ! — : الذي اجمع الخصم معنا على وحدانيته ،

---

١ العزة K . —

بين الضدين من وجه واحد . ويعطي الغلبة عند منازعة العقول في طلب هذا المدرك الممنوع عنا . — والغَلَبَة انما تظهر عند وجود الخصم .

قال ، قدس سره : « ان قيل لك : بماذا وحَّدتَ ب الحق ؟ — فقل : بقبوله ت الضدين معاً ث » اي من حيثية واحدة ، فان قبولها ، من حيثيتين مختلفتين ، من مدارك العقول .

« فان قيل لك : ما معنى قبول الضدين ؟ — فقل : ما من ج كون ينعت او يتصف بأمر إلا وهو » اي ذلك الكون . « مسلوب من ضد ذلك الامر ، عندما ينعت به من ذلك الوجه » الذي نُعت فيه به . كما تقول : فلان عالِم بزيد ، فمحال ان يكون جاهلاً به من وجه (ما) هو عالم بهٖ . بخلاف الحق — تعالى ! — فانه أول . من حيث هو آخر .

« وهذا الامر » اي قبول الضدين من وجه واحد ، « يصح ح في نعت الحق خصوصاً ، اذ ذاته لا تشبه الذوات ، والحكم خ عليه لا يشبه الأحكام ؛ وهذا » اي قبول الضدين معـاً ، « وراء د طور العقل » فان النفس الانسانية انما تدرك المعقولات بعقلها والمحسوسات بحواسها ، ولها مدرك آخر بذاتها المجردة خاصة . وذلك هو وراء طور العقل ، المختص علمه وشهوده بأرباب الفيض الالهي ، الفائزين بالمواهب اللدنية .

(٣٩٩) « فان العقل ذ لا يدري ما اقول . وربما ر يقال لك ز : هذا يُحيله س العقل » اذ لا يثبت العقل اجتماع الضدين الا من جهتين

فرأيناه مجهول الذات . وقد قال : « ليس كمثله شيء » . فنفينا عنه ما قبله الكون . وسلمنا له ما قال عن نفسه من الوجه الذي تقتضيه [الاصل : يقتضي] الوحدانية من جميع الوجوه ، على ما تقتضيه ذاته . — وقوله ، سلام الله عليه : « أتراك الحق للحق » : هذا خطاب المكاشف ، صاحب الفيض الالهي [الاصل : الالوهي] ، للعقل الذي ادعى ان مدركه هو الغاية . وحكم بأن ما وراء مدركه مدرك ! فقال له : « مالك وللحق » أتراك بنا الحق معا . فاني ، مع كوني في مرتبة أعلى من مرتبتك ، ما عرفت الحق الا بنسبة ما . فكيف بك مع القصور عن طوري ورتبتي ؟ ومع كوني ادركت زايداً عنك ، فقد ثبت عندي انه — تعالى ! — لا يصح ان يعرفه سواه . فتحقق ! » [مخطوط الفاتح ورقة ٢٧ب—٢٨ا] . —

ب وجدت HK . — ت لقبوله H ؛ نقبوله K ؛ بقوله P . — ث + اللذين يصح ان ينسبا اليه . كالأول والآخر والظاهر والباطن والاستواء والنزول والمعية وما جاء من ذلك H ؛ اللذين ... تنسبا .. كالأول .... K . — ج بين H . — ح لا يصح H . — خ فالحكم KH . — د ورا W ؛ وراء P . — ذ الحق K . — ر + ان KP . — ز لكن H . — س يحيله H . —

مختلفتين . فلا يدري كونَ باطنيّةِ الحق عينَ ظاهريّتهَ ، وظاهريته عين باطنيته أبداً . بل يدري باطنية الذوات . التي يعرفها . بحدها وحقيقتها بنسبة (ما) وظاهريتها . بنسبة أخرى . فلا يصح حكمه على الذات المجهولة بحدها وحقيقتها الا بما أعطاه إخبارُها عن نفسها . أو أعطاه الشهود . الناتجُ لصاحب المنحة الالهية من عين المنة . ولذلك قال ، قدس سره :

« — فقال : **الشأن** ش **هنا** » اي التجلي الظاهر بالآثار الأقدسية من عين المنة . — « **اذا صح ان يكون الحق — تعالى** ص ! — **من مدركات العقول ، حينئذٍ تمضي عليه أحكامها** » بنفي واثبات وجمع بينهما معاً . —

(٤٠٠) « **لئن** ض **لم تَنْتَبَه** » يخاطب العقل ، — « **لَتَتَشقى** ط **شقاء** ظ **الأبد** » هذا الخطاب من الشأن ظ الالهي ، بلسان القائم بحق مظهريته ، للعقل الذي [f. 80a] ادعى ان مدركه في الحق هو الغاية ، وليس وراء مدركه مدرك . ولذلك زاد صاحب الفيض في تبكيته ، فقال :

« **ما لك وللحق ؟ اية مناسبة بينك وبينه ؟ في اي وجه تجتمع** » معه ؟ ألَمْ تعلم ان القرب الأقرب والبعد الأبعد ، بين الشيئين ، بقدر المناسبة والمباينة بين ذاتياتهما ؟ فلولا البعد الابعد بين ذاتياتك وذاتياته — تعالى ! — لما سمعت منه — تعالى ! — ﴿والله غني عن العالمين[٧٧٢]﴾ .

« **اترك الحق للحق** » ولا تقصد حمل اعباء معرفة ذاته — تعالى ! وذاتياتها . اذ لا يحمل البحر منقار العصفور . ولا يثبت الظل مع استواء النور ، ولا تقابل البعوضةُ الريح العاصف ! « **فلا يعرف** ع **الحق الا الحق** » والخصوص بالفيض الالهي ، مع كونه اعرف بالحق من العقل ، لم يعرفه الاّ بنسبة مّا .

(٤٠١) كأنما « **يقول الحق** » للعقل الموقوف دون حجاب العزة ، « **وعزة الحق ، لا عرفتَ نفسك حتى اجلّيك** غ » بالقاء نوري الاقدس

---

٧٧٢) نص الآية : « فان الله غني عن العالمين » سورة رقم ٣/٩٧ وفي آية اخرى: «ان الله لغني عن العالمين » سورة رقم ٢٩/٦ .

ش الشان HKPW . — ص تعل W . — ض ليس PW ، لن K . — ط لتشقين HK . — ط شقا KW . — ظ الاصل : الشان . — ع تعرف K ، معرب W ؛ معرف P . — غ + ك HKW . —

الى بصيرتك لتجليتها عن آثار الغلبة الامكانية وأقتارها . «وأشهدك اياك» بالقوة الكاشفة لك عن بعض ذاتياتك في المشاهد التنزيهية . — «فكيف تعرفني» بك وبما اختص بقابليتك من الادراك؟ وانت عاجز عن معرفة نفسك بادراكك القاصر عنها .

«تأدبف» ولا تدّعي فيما ليس لك من ذاتك . «فما هلك امرءق عرف قدره» ولم يتعد طوره . «واقتدك بالمهتدين من عبادي» الذين جاسوا خلال ديار اليقين . وميّزوا ما لي عمّا لهم . بي لا بهم !

ف تادب W ، تادب K . — ق امرء W ؛ امرء P ، امرو K . — ك اقتد HKW .

(شرح) تجلي النصيحة[٧٧٣]

LXXVIII

(٤٠٢) هذا التجلي انما يظهر من عين المنة للمراد المعتنى به . قبل شروعه في تحلية[٧٧٤] قلبه بالآداب الروحانية . حفظاً له حتى لا يباشر في تحليته بما تعطيه احواله المعلولة من الآداب والرياضات المخترعة برأيه . ويظهر ايضاً . بعد اخذ السالك في سيره الى الله بطلوع نجم العناية السابقة له . وهذا . حظ الاكثرين من اهل الطريق .

(٤٠٣) قال : قدس سره : «لا تدخل» ايها السالك . «داراً لا تعرفها» اي دار بنيتك المشتملة على ما في آفاق الوجود : من الغيب

---

٧٧٣) أملاه ابن سودكين . ومن تجلي النصيحة : وهذا نصه . «لا تدخل داراً لا تعرفها . . . . ما ظفرت يداك بسوى التعب» . — قال جامعه : سمعت شيخي يقول في اثناء شرحه هذا التجلي ما هذا معناه . قال : تجلي النصيحة على وجهين . الوجه الواحد قبل الشروع : وهو للمخصوصين . والوجه الثاني بعد الوقوع : وهو للأكثرين . ثم اعلم ان كل خطاب ورد على النفوس من الحق : بطريق التأديب [الاصل : التادب] : فانما هو من حيث آلات العقول : فأما الكشف فبابه باب آخر : فانه يعطي الأدب بذاته : من غير خطاب يتوقف على آلة . والأدب هو الوقوف عن [الاصل : عند] التعدي : وان لا يتعدى عن مرتبته بـ [الاصل : مر] تقتضيه . وهذه الدار فيها ما يقتضيه [الاصل : يقتضي] الحس فيدركه بالحس : وفيها ما يقتضيه العقل : وهو امر مخصوص يدركه بالعقل : وفيها ما يقتضيه الكشف : وهو امر مخصوص . فأما كيانها : على الاستيفاء : فلا يعرفك بها الا الحق — تعالى ! — وحده . فان أطلعك على وجودك حينئذ تعرف نفسك المعرفة التامة . وباب هذه المعرفة هو باب الشرع : الذي تتلقاه بالايمان . فيما قال لك الشارع (و) هو كلام الحق ، تتلقاه [الاصل : فتتلقاه] منه بغير تعليل ولا تأويل . فان احكمت هذا المسلك وصلت الى ميراثه : وهو العلم الكامل الالهي . فانك تلقيته بعدم الوسايط والحجب منك . والحجب هي الحس والعقل وجميع الآلات . فاذا اطلعك الحق — تعالى ! — على حقيقتك : وكاشفك بالحقايق ، وجعل مدركك انما هو بعين ذاتك لا بآلة — فحينئذ يكون ادراكك أتم : وتكون اقرب الى المناسبة : لتحققك بصفة الاحدية الخاصة بك . ومع ذلك : فأين انت من الحق ؟ انت في المرتبة الثانية . فغايتك ان تعرف نفسك . ولا يصح لك ان تسترق معرفة نفسك ابداً ! فابق متصفاً بالعجز ، والاقرار بالعجز عن درك الادراك : فذلك بعض الادراك ! — والله يقول الحق ! » [مخطوط الفاتح ورقة ٢٨ب] . —

٧٧٤) «... التحلي (هو) الاتصاف بالاخلاق الالهية : المعبر عنها في الطريق بالتخلق بالاسماء . وعندنا ، التحلي (هو) ظهور اوصاف العبودة دائماً مع وجود التخلق بالاسماء . فان غاب عن هذا التحلي كان التخلق بالاسماء وبالاً عليه ... » (اصطلاحات الفتوحات ٢ /١٢٨ وانظر ايضاً الفتوحات ٢ /٤٨٣–٤٨٤ واصطلاحات الصوفية لابن عربي ولطايف الاعلام ورقة ٤٣ب) .

والشهادة . وانت لا تعرفها : بناءً ا وقواعد وعلوًا وسفلاً ومراتب ودرجات وغرفاً ومجالس ومُشْتَرَقاً[٧٧٥] ومقاعد ومنصات ومخادع ومهوات ومساقط وابواباً ومداخل وأزاماً[٧٧٦] وسكّاناً : من الاعالي والاواسط والأداني . وهل بنيت من المؤن النفيسة او الخسيسة أو منهما (معاً) ؟ [f. 80a] ومَن مُدَبِّرها من الارواح القدسية والقوى الطبيعية ؟ ومَن زِمامها من النفوس الملكية ؟ ومن ناظرها من الاسماء الالهية ؟ وهل تصلح لنزول المَلِك فيها ؟ واذا نزل : هل تكون بيت خلوته او بيت جلوته او تارةً وتارةً ؟ — فان هذه البنية المكرمة . المتقامة في احسن تقويم : انما وضعت بالوضع الالهي على نسق الحكمة البالغة : فيها المهلكات والمنجيات في محالها : والمسالك مختلطة بعضها بالبعض ، والرقائق مشتبهة . فالداخل فيها اذا لم يكن على بصيرة ، من رب الدار : ربما اشرف بجهالته فيها على مزال القدم ومساقطها ، فيقع في مهوات التلف . ولذلك قال :

(٤٠٤) فما من دار الا وفيها مهاو ومهالك . فمن دخل دارًا لا يعرفها فما اسرع ما يهلك . لا يعرف الدار إلاّ بانيها ، فانه يعرف ما اودع فيها . بناك الحق دارًا له ليعمرها ب به » .

يعني . ان يظهر فيها ، في كل آن ، بشأن ؛ ويجمع فيها آثار ما توارد عليها من الشؤون ؛ ويضع فيها جواهر الحكم وصحف جوامع الكلم ؛ ويجعلها خزائن اسراره ومطالع انواره . فليس لك ان تسلك بك مسالكها . ولا (ان) تستعرض ودائعها وتستشرف على اهلها اذ « ما انت بنيتها ﴿افرأيتم ت ما تمنون أأنتم ث تخلقونه ام نحن الخالقون[٧٧٧] ؟﴾ **فلا تدخل ما لم تبن ج فانك لا تدري في اي مهلك تهلك ولا في اي مهواة تهوى . قف عند باب دارك حتى يأخذ الحق بيدك وتمشيك ح فيك » .**

---

٧٧٥) المعروف في العربية « مشرقة ومشراق وتشريق » كل ذلك يعني « موضع القعود في الشمس » . فلعل « المشترق » هي الغرفة الشرقية في الدار .

٧٧٦) كذا في الأصل . و « الازام » في اللغة هم الاصحاب الذين لا يفارقون ؛ ولعل الشارح استعمل « الأزام » في هذا الوضع بمعنى « المرافق الضرورية » للدار ؛ وانظر ما تقدم فقرة رقم ٢٤٤ . —

٧٧٧) سورة رقم ٥٦ ، آية رقم ٥٨ .

ا الاصل : بناء . — ب ليعمرها H . — ت افرائيتم W ، افرائتم P ، افرايتم K . —
ث انتم W ، امتم K ، آانتم P . — ج يبن H . — ح وتمشيك K . —

ودي باب (دار) اذا فتحت للواقف عليها . شاهد ما وراءها وعرف جوامع مخبّآتها وصنوف موضوعاتها الاخفية والكونية . وعرف . بتعريف مالكها . ان السر المضنون به . في صدر الدار . تحت وسادته . مكتوم. مختوم عليه بختمه . لا يكشفه ولا يتصرف فيه احد إلاّ به . وبآدابه الموصلة الى ذلك . اذ بالشمس يهتدي الى الشمس . وهذا الباب : الذي يجب الوقوف عنده . هو شرع الوجود الظاهر به رحمة الكافة . وأصل الآداب . الموصلة الى ذلك السر المضنون به : الايمان الخالص ودلالته . لا العقل ودليله . فمن تَلَقَّى تعريف الشارع بالايمان . من غير تأويل وتعليل . انما تلقاه من الحق بلا شك . ومن أحكم هذه القواعد الايمانية وسلك هذه المسالك الايقانية : ورث من صاحب شرع الوجود علماً لدنيا الهياً . محيطاً بحقيقة كل شيء خ كما هي : من غير وسائط د العقل والحس والمشاعر. وتحقق بأحديته الخاصة به في [f. 81a] أحدية صاحب الشرع. فأدرك بذاته فيها كل شيء خ .

(٤٠٥) ولما امتنع الظفر بهذا المطلوب الأبيَن بدلالة العقل ودليله. قال — قدس سره ! «**يا سخيف العقل ، أبشَرَكَ الفكر تقتنص طيره ؟ أبخيول الطلب تدرك غزاله ذ ؟ أبسهم الجهد ترمي صيده ؟ ما لك يا غافل ! ارم صيدك بسهمك ، فان أصبته أصبته**» .

يقول : لا تترك التدبير والجهد ، ولا تعتقد انك بالجهد تناله . اذ ليس كل من سعى خلف الصيد صاد ، ولكن ما صاد الا من سعى خلفه ! ثم نظر ، قدس سره ، الى ان حصول الأمرَ لمن سعى انما هو بمحض الامتنان : فقال : «**ولا تصيبه**» ر بقصدك وسعيك «**أبداً ! يا عاجزاً عن**» معرفة «**نفسه كيف لك به**» — اي بمعرفة ذات الحق وذاتياته وانت في المرتبة الثانية ، فلا خروج لك عنها، فلا وصول لك اليه . غايتك ان تعرف نفسك به لا بك، ولا تعرفها حق المعرفة . فكن على حذر من طلب لا ينتهي الى فائدة . فقل : «العجز عن درك الادراك، ادراك»[٧٧٨].

---

٧٧٨) انظر بخصوص هذا الأمر ما تقدم تعليق رقم ٢٧٠ . ويبدو ان الشارح هنا قد ابتعد قليلاً عن ابن عربي. فهو يقول ، بحسب املاء ابن سودكين المتقدم : «فابق متعنناً بالعجز ، والاقرار بالعجز عن درك الادراك : فذلك بمعنى الادراك» . ونص ابن عربي هنا :

خ الاصل : شئ . — د الاصل : وسايط . — ذ غزالة HK . — ر تعبه KH . —

اذ لو افنيت ذاتك في روم ما لست بكنهه ز « ما ظفرت س يداك الا ش بالتعب ش ر » .

يشبغي ان يقارن مع نص نظير له في الفصوص ليتضح المعنى تماماً . « ... والتجلي من الذات لا يكون ابداً الا بصورة استعداد المتجلى له ... فاذن المتجلى له ما رأى سوى صورته في مرآة الحق . وما رأى الحق . ولا يمكن ان يراه مع علمه انه ما رأى صورته الا فيه . كالمرآة في الشاهد : اذا رأيت الصورة فيها لا تراها مع علمك انك ما رأيت الصور او صورتك فيها ....
واذا ذقت هذا : ذقت الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق . فلا تطمع ... في ان ترقى في اعلى من هذا الدرج ... فهو (اي الحق) مرآتك في رؤيتك نفسك ، وانت مرآته في رؤيته اسماءه .... فاختلط الامر وانبهم : فمنا من جهل في علمه فقال «والعجز عن درك الادراك ادراك » ؛ ومنا من علم فلم يقل مثل هذا القول ؛ بل اعطاه العلم السكوت ما اعطاه العجز » (فصوص الحكم ١/٦١–٦٢) . في نظر الشيخ الأكبر ان وعينا العميق بالعجز عن درك (الحقيقة المطلقة) هو بمعنى الادراك ، اما مقام الصمت او الحيرة (بجاه الحقيقة المطلقة) فهو الادراك كله !! —

ز الاصل : يكنهه . — س ظهرت K . — ش – ش » بسوى التعب HKW . —

(شرح) تجلي لا يغرنك[٧٧٩]

LXXIX

(٤٠٦) هذا التجلي يتضمن تحريض النفوس السائرة في مناهج الحق لطلب ما هو الأمر عليه. — قال قدس سره: «يا مسكين! كم[١] يضرب لك المثل بعد المثل ولا تفكر» فيما ينطق به الكتاب والسنة وفيما يظهر لك

---

٧٧٩) املاء ابن سودكين. «ومن تجلي لا يغرنك. ونصه. «يا مسكين مالك .... جوعاً وعطشاً.». — قال جامعه: سمعت شيخي، سلام الله عليه! يقول [fol. 29a] ما هذا معناه. لا يغرنك ما تسمعه منه او تراه. قبل ان يعرفك بمراده في ذلك، كقوله: اعمل ما شئت [الاصل: شيت]. هذا لفظ يحتمل الوعد ويحتمل الوعيد، بحسب القرائن. — قوله: «يا مسكين ... ولا تفكر.» قال، سلام الله عليه! التفكر على ضربين: مذموم وهو فكر ارباب الخلوات. فان التفكر يفسد عليهم؛ وفكر محمود وهو فكر الاعتبار في آلاء الله وفي مخاطبته لك في الكتاب والسنة. — قوله: «كم تقول... الدليل» — اي ان صاحب الدليل انما طلب نتيجة دليله. وكانت النتيجة هي الحق المطلوب له؛ وقد اخل دليله من الحق لكونه انما نظره في مدلول دليله. ولو كان نظره في الدليل لكان الدليل عنده هو عين المدلول. — وقوله: «متى صحبك تفتري عليه». — اي انك فارقته في الدليل، ولا يوصل الى الحق الا بالحق. لو استصحبته في عين الدليل لصحبك في المدلول. لكنك فارقته من اول قدم. والبداية عنوان النهاية. — قوله: «لا يغرنك اتساع... من اشكالك. الخ» اي لا يغرنك كثرة الطرق اليه. فانه ما من قدم يطأها [الاصل: يطاها، نسخة بيينا: يطويها] سالك من جميع عباد الله — إلا وتحتها آفة من الافات. فمن [الاصل: فمي] عرف تلك الآفة واتقاها — كان المتقي هو الذي تحقق انه على بصيرة من ربه؛ ومن جهلها ثم اتى بعد ذلك بخمسين وجهاً من وجود الحق في ذلك القدم الواحدة — كان ما فاته من تلك الآفة [الاصل: الاقدام] الواحدة يرجح بجميع الوجوه التي تحصل له من الحق في تلك القدم. — قال سيدي، سلام الله عليه! ولقد سألني بعض الاكابر. فقال: هل رأيت سيئة [الاصل: سية] واحدة افسدت ثمانين حسنة؟ — فقلت له: (هذا) اذا كانت (السيئة) لا تنقسم، فكيف اذا انقسمت! قال، رضي الله عنه! وفي هذه الارض الواسعة تحقق المحاسبي — رحمه الله! — بمعرفة آفاتها. واما ابو يزيد — رحمه الله! — مع جلالة قدره، فانه لم يثبت له فيها قدم، الى ان استغاث بربه فأعطاه شيئاً [الاصل: شيا] من اشيائه. — قال شيخنا، رضي الله عنه! ولما كشف لي عن هذه الارض، كنت قائماً اصلي خلف الامام؛ وقد قرأ الامام «يا عبادي ان ارضي واسعة» — فصحت صيحة عظيمة، ثم غبت عن حسي؛ ولم اصح في طريق الله، قط، سوى هذه الصيحة. فلما أفقت، اخبرني الحاضرون عندي انه وضعت حاملٌ، كانت مشرفة على سطح يشرف على ذلك المسجد. وغشي على اكثر الجماعة. (انظر الفتوحات ١/١٧٣). ثم في ذلك المشهد، الذي غبت فيه عن حسي، اطلعني الله على حقيقة هذه الأرض؛ واشهدني حقائق آفاتها. فلا أرى حركة في العالم، بعد ذلك، إلا واعلم من أين انبعثت، والى اي شيء غايتها، باذن الله تعالى وحسن تأييده. — والله يقول الحق!» [مخطوط الفاتح ورقة ٢٨ب—٢٩]. —

---

١ مالك HKW. —

من المخاطبات الشهوانية ؛ ولست انت ممن تنظر الاعتبار وتتفكر فيما خاطبك الحق به فتعرف مراده — تعالى ! — من ذلك . نعم . لا تنكر لك حالة توجهك الى تفريغ محلك من السوى . فان التفكر . اذ ذاك . يشغل محلك بما ليس بمطلوب من الصور الفكرية فيفسده بها .

« كم تخبط في الظلمة » اي في ظلمة الجهالة . القاضية بحصر الحق في بعض الوجوه وتخلية بعضها عنه ؛ « وتحسب انك في النور » — حيث زعمت ان دليلك انتهى بك الى الحق .

« كم تقول : انا صاحب الدليل؛ وهو عين الدليل » ولولا هو كذلك. لما اهتديت به الى الحق : فبالحق اهتديت الى الحق . « ومتى ب صحبك » الحق « تفتري ت عليه » حيث تزعم انك فارقته في الدليل وصحبته في مدلوله . والحق انه صحبك في عين الدليل الى المدلول . فالحق . في الحقيقة . هو موصلك الى الحق . ولكنك فارقته . بزعمك : في اول قدم استدلالك . والبداية عنوان النهاية . ولو صحبك في دليلك ومدلوله وبدايتك ونهايتك . في نفس الأمر — ولست انت واجده هكذا — لما كنت على شيء ث . فان [f. 81b] من الكمالات المختصة بك وجدانك اياه عين كل شيء ث . وإلاّ حكم كونه هكذا بالنسبة الى كل شيء ث على السواء[٧٨٠] : فاين اختصاصك ؟

(٤٠٧) ثم قال : « لا يغرنك اتساع ارضه[٧٨١] ، كلها شوك ولا نعل لك . كم مات فيها من أمثالك كم خرقت من نعال الرجال فرقفوا فلم يتقدموا ولم يتأخروا ج فماتوا جوعاً وعطشاً ! »

لعله اراد باتساعها ؛ كثرة الطرق الى الله . يقول : ولو كانت الطرق اليه كثيرة لا تحصى عدداً . ولكن لك : في كل نفس وتحت كل قدم ؛ آفة . وأقلها ؛ تعارضُ حكميْ الوجوبية والامكانية ؛ والامرية والخلقية ؛ بحكم المغالبة فيك ؛ في كل نفس . والحرب سجال . لا يدري ان الغلبة

٧٨٠) النص في الأصل : « والاّ حكم كونه هكذا بالنسبة الى كل شي على السواء فاين اختصاصك » .

٧٨١) اشارة الى قوله تعالى : « ان ارضي واسعة » (سورة ٢٩ /٥٦) وقوله : « وارض الله واسعة » (سورة ٣٩ /١٠) و « الم تكن ارض الله واسعة » (سورة ٤ /٩٦) . —

ب ومتى KHW . — ت تعز W . — ث الاصل : شي . — ج يتاخروا KW . —

لأيهما . لا : بل تعارض احكام الاسماء الجزئية : المتقابلة : المتوجهة الى قابليتك ح : بما هذا من اصلها الشامل . فان كلاً منها يطلبها ح ان تتوهم بحق مظهريته وظهور خصائص حيطته . وهذا التعارض انما يعطي التعويق والوقفة والخمود والفترة في حال البداية . وهي المعبر عنها بقوله : « فوقفوا فلم يتقدموا ولم يتأخروا » . وانما خصصنا التعارض بالاسماء الجزئية . اذ هذا الولاية والتأثير في حال البداية ، بحكم الاكثرية . واما في النهاية : فالولاية والتأثير للاسماء الكلية[٧٨٢] . وتعارضها انما يعطي التمانع : « خ فيبقى القابل فيه خ » مطلقاً عن الميل والتقيد . فيحصل له في اطلاقه الاختيار والحكم والاقتدار . فيميل ويتقيد بأي اسم شاء ؛ منها شاء ؛ من الاسماء المتقابلة . اختياراً . فافهم !

---

٧٨٢) الاسماء الكلية : وتسمى امهات الاسماء والأئمة السبعة والحقائق السبعة الاصلية ... وهي : الحي والعالم والمريد والقائل والقادر والجواد والمقسط . وقد يعنى باصول الاسماء : الاسماء الاربعة (المعروفة ايضاً بائمة مفاتيح الغيب واظلة مفاتيح الغيب ايضاً وهي : السميع والبصير والقادر والقائل . (لطايف الاعلام : ١١٩ ، ١٨ أ ، ٢١٠ ب ، ٧١ ب) . اما الاسماء الالهية الجزئية : فهي مجموع الاسماء الحسنى كل اسم بانفراده . — انظر ما يخص المباحث المتعلقة بالاسماء الالهية في الفتوحات ١/٩٨-١٠١ ؛ ٢/٥٦-٥٨ ؛ ١٢٠-١٢٣ ؛ ٣٩٧-٤٧٨ ؛ ٤/١٩٦-٣٢٦ وفي فصوص الحكم = فهرس الاصطلاحات ، مادة الاسماء الالهية ؛ وانشاء الدوائر ٢٧-٣٥) .

« ح — ح » (وضع الناسخ الاصلي رقم ٢ تحت كل من « قابليتك » و « يطلبها » ليشعر بان الضمير في « يطلبها » يعود عن « قابليتك ») . — « خ — خ » (وضع الناسخ الاصلي رقم ٢ تحت كل من « التمانع » و « فيه » ليشعر بأن الضمير في الكلمة الأخيرة يعود على الكلمة الأولى) . —

رحلة الاب ارسانيوس شكري اروتين الحكيم

(تابع)

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

وفي اليوم التاسع من شهر آب ورد علينا ايضاً جوق مشايخ من نواحي اسبانيا واخبرونا ان رهباناً من رهبان الروم مع رهبان من مار شعيا قد دخلوا الى عند سلطان اسبانيا وشحدوا فحصل الى جوق الواحد اربعماية غرش احسان وجوق الآخر مايتان غرش لكن بعده الجوقان صارا واحداً والواحد منهم اسميّ حاله باشة القدس والآخر باشة الناصرة والبقية اسموا حالهم برنجية لبنان وكسروان وكان كل من يراهم يهزأ بهم ويقسون قلب بعضهم لكي لا احد يعطيهم احساناً ولا عادوا يحنون الى شرقي وجاؤا الى ورسالية قبلنا لكي ينتظروا السلطان والسلطان والوزراء ما عادوا يريدون ينظرون مثل هؤلاء.

وبقينا نحن مثل السكارى من غير خمر لان مثل هذه الامور تضرنا كثيراً لان السلطان بعد ان قبلنا وامرنا ان نذهب الى ورساليه ما عدنا ندري كيف تعمل فاتكلنا على الله تعالى وصلوات الرهبان وبذلك اليوم خرج الاذن من المطران بالشحادة في بهريز وفي ورساليه وفي جميع الابرشية المختصة الى بهريز غير ان المطران امرنا ان نذهب الى عند حاكم البلد لنسجلها عنده وبيت الحاكم بعيد عن مكاننا فخرجنا نركد ذي الكلاب لبيت الحاكم واعطيناه الورقة فلما قرأها اخذه العجب كيف ان المطران اذن لنا نشحد بهريز ستة اشهر فاوعدنا الى ثاني يوم لكي نذهب ناخذ الاذن ومعلومكم المكان بعيد قدر (ص ٥٤) ساعتين وما مطلوب منه سوى وضع خط فتركنا الورقة عنده ومضينا لكي ثاني الايام نأخذها.

الاسرى المسيحيون في مالطة

وفي هذا اليوم وردت اخبار من طرف مالطا بان جميع اليساري الذين في هذه الجزيرة مع باشة رودوس الذي كان قبل دخولنا بقدر عشرة اشهر أخذ يسيراً وسبب اخذه صار هكذا وهو ان كليرة Galère رودوس الذي داخلها الباشا كان داخلها يساري مسيحيون فهذه الجماعة رابطوا

مع واحد عبد كان عند الباشا شكل جنزرجي وعملوا معه قولاً ورباطاً انهم في ليلة من هذه الليالي يطلق هذا العبد لكافة اليساري الموجودين بالكليرة الذين هم من مالطا واسلامبون ومن غير طوايف قدر مايه وثمانين يسيراً لكي يقضوا شغلاً . والعبد المذكور طاوع لقولهم واطلق الجميع اليساري بالليل وخرجت هذه المايه وثمانون شباب واقاموا حرباً بالمركب مع الترك والكريك الموجودين بالمركب وضربوا سيفاً وقدروا على الجميع واخذوهم يساري وحبسوهم بالعنبر مع الباشا وساقوا المركب قصدهم اسبانيا .

فسمع هذا الخبر اهل مالطه فعند ورود تلك الكليره الى نواحي مالطا لان هذا طريقها فحالاً ارسل سلطان مالطا غليونين جانكجيه وساقت الكليره بقوة المدافع الى مالطا وصار الباشا مع اتباعه يسيراً في ملطا وبعد زمان قليل وصل (ص ٥٥) الخبر الى اسطنبول بكل ما صار وان الكليره والباشا قد اخذوا يساري وان سلطان مالطه طالب من الباشا المذكور مايتين الف غرش لكي يطلقه فحالاً وزير الاعظم ارسل الى الجي فرنسا رجا بانه يكتب الى سلطان مالطه او الى سلطان فرنسا بان يطلقوا الباشا مع الكليره فكتب حالاً الالجي الى سلطان فرنسا واخبره بهذا فحالاً كتب السلطان فرنسا الى سلطان مالطه بان يطلقوا الباشا مع كل اتباعه فرضي سلطان مالطه باطلاقه وارسل من عنده واحداً الى الباشا معتبراً لكي يبشر الباشا انه مطلوق سلطان فرنسا .

اما الباشا حين وصل لعنده ذلك الرجل فما عمل له ولا ادنى قيمة ولا نظر اليه غير انه قال له اني انا ماني يسير عندكم ولا احد له علي حكم وما بسافر من هنا حتى آخذ الكليره مع جميع ما كان من اليساري بها وبشر وايضاً بطلب منكم العبد الخاين لكي اقاصصه على جرمه وذلك العبد المذكور تنصّر والسلطان زوجه وعمل له علافة واعطوه بخشيشاً كبيراً وعيّنه عنده من خدامه الخاص ونحن رأيناه امراراً عنده وتكلمنا معه غير ان هذا العبد الخاين له نية ردية ورابط مع الباشا رباط شيطاني وهو انه ربط قول مع اربعة انفار يساري وهم عند السلطان بوظيفة الحراس ليلاً ونهاراً يحرسون السلطان وهم ربطوا القول مع كافة اليساري المسلمين الذين بخدمة الاكابر لان كل واحد منهم عنده ثلاثة او اربعة خدمة وهم عايشون عيشة مثل سناجق مصر واعظم واولئك (ص ٥٦) وبطوا القول مع بقية الاسارى الموجودين بالجزيرة وصار هذا الرباط يفوق عن الف يسير بان

اي وقت صار لهم الخبر والاشارة من الباشا فكل واحد منهم يذبح المتوكل عليه والاربعة مع العبد الخاين يذبحون السلطان ويخرجون الى البلد ويضربون السيف بالبلد لكل من يرونه .

وكتب الباشا المذكور الى تونس الغرب والى طرابلوس الغرب بانهم يرسلون عشرين مركباً محملاً عسكراً وبعد يسلمهم مالطه والعسكر يجي قريب مالطه ويبقى بمكان الى ان يرسل لهم خبراً حالاً يحضروا فأتاه جواب من بهذه الاماكن انهم حضروا له خمسة وعشرين مركباً بخمسة وعشرين الف مقاتل وفي يوم الثلاثي تراهم بمكان الثلاثي منتظرين الاشارة فقط ويومها مالطه كانت خالية من المراكب والانكليزات لان الجميع كانوا مسافرين بنواحي رومية وفلورنسا ولو يسمح الله بورود العدو بتلك الايام ما كان احد يمانع ولا يدافع عن البلد وكانت ذهبت مالطه من اليد .

ولكن انظر تدبير ربنا وهو انه قبل حلول الوعدة التي بينهم وهم منتظروها لاجل اتمام شرهم كشف الله هذا الامر على هذه الصيغة وهو انهم كان من روساء هذا الرباط كام واحد جالسين بقهوة وهم يتحدثون بهذا فاتطلع عليهم واحد ومضى واخبر السلطان بهذا واخبر الى الاكابر فلما سمعوا هذا حالاً قبضوا على ذلك العبد الخاين وعلى اوليك الاربعة المذكورين وعلى بعض من اليساري وهددوهم بالقتل والعذاب فحالاً قرّوا واعترفوا بجميع ما ربطوه الا ذلك العبد فلم يقر ولا بالعذاب واخيراً مات تحت العذاب بعد ذلك اخرجوا جميع الاساري من الخدمة وما عادوا يتركون احداً منهم (ص ٥٧) يقدم بمالطه بخدمه ولا بغيرها ووضعوهم كل اثنين بالحديد واحد . والسلام .

انظر الى هذا الملعوب الشيطاني لو لم ربنا يظهر هذه الدعوة لكانت عدمت مالطه . والباشا ما عدنا عرفنا كيف تم امره ثم باليوم العاشر من شهر آب قدسنا باكراً عند رهبان اليسوعية وبعد القداس رحنا اخذنا الورقة الاذن من الحاكم مسجلاً منه وكان الوقت قبل الظهر بنصف ساعة وبعد الظهر اردنا نذهب لعند معلم السلطان لكي نشكر فضله ونريه الورقة لكن منعنا عن ذلك شدة الامطار والرعود والصواعق حتى ظننا القيامة مزمعة ان تقوم وذلك اليوم العاشر من شهر آب ثم بعد سكون هذه الامطار مضينا لعند المذكور واريناه الورقة ففرح بها جداً ودعا لنا بالتيسير وسألناه اي يوم نذهب الى ورساليه .

ولعلّ المذكور بوصول المشايخ توجع لنا كثيراً من حيث حضورهم بمثل هذه الايام وحزن لانه عرف برحيلهم قبلنا الى ورساليه فقال لنا ان شوري عليكم لا تذهبوا الى ورساليه ما لم اعطكم خبراً لانكم اذا انوجدتم هناك مع المذكورين يمكن يصير عليكم خطر بسببهم ويذهب تعبنا ضائعاً لان الدولة قد قرفت مثل هؤلاء واخاف لئلا يصير امر ضدكم يصير الضرر مشترك لكم معهم الاوفق اصبروا لكي اكتب لبعض الناس هناك وانظر كيف تدبير الله تعالى فرأينا هذا الرأي الصايب فشكرنا فضله ورجعنا من عنده على هذا التدبير .

وصرنا حايرين كيف نعمل لان اذا ابتدينا بشحادة بهريز فبعد ان يكون الخوري اوصى لنا بالكنيسة نشحد ثلاثة او اربعة ايام ونترك بهريز ونمضي الى ورساليه وفي ورساليه اقله يحتاج لنا شهر زمان واكثر ونرجع الى بهريز ستكون دعوتنا انتست فيعود الخوري يوصي لنا ثانية فنكون تكلفنا وكلفنا الخوري تكليفاً (ص ٥٨) بغير فائدة فاخذتنا الحيرة كيف نعمل فتركنا التدبير الى الله تعالى وحده .

ثم بعد يومين مضينا الى عند معلم الاعتراف السلطان وتكلمنا معه فقال لنا اننا نصبر اثني عشر يوماً الى يوم عيد السلطان الواقع في ٢٥ آب ذلك الوقت نذهب الى ورساليه فرأينا ان المدة طويلة ونحن بغاية الاحتياج فالتزمنا نشحد في بهريز فأخذنا ورقة الاذن وذهبنا لعند خوري كنيسة مار بولس وذلك في ١٦ آب وتوسلنا اليه كثيراً لكي يوصي لنا بالكنيسة لكي ندور نشحد فقال لنا ان امس كان عيد السيدة وما يمكن ان اوصي لكم الآن ذلك ولكن اصبروا الى اليوم التاسع عشر حتى نبصر كيف الامر لانه يوم احد جيبوا ورقة الاذن وقفوا مع الشحادين على باب الكنيسة الذي يريد يعطيكم احساناً فقلنا له يا ابانا نحن قصدنا ندور على البيوت والدكاكين والديورة وعلى كل مكان فقال هذا غير ممكن فقلت له ان سيدنا المطران اعطانا بإطنتا اي اذناً على هذا الوجه فقال انا مالي سلطان اعطي هذا الاذن ان كان المطران اعطاكم هكذا دوروا بسلطانه واعطانا غرشين حسنه فرأينا ان هذا القول خراب الى الشحاده لان حال ما نقف على باب الكنيسة فما يعود احد يعطينا شيئاً ولا يعود اعتبارٌ الى الرهبنة وبعده كل واحد الذي نطلب منه يقول انا اعطيتكم على باب الكنيسة وعزمنا اننا ندور قبل الوصية لان الخوري ما يوصي لنا ما لم نقف في باب الكنيسة .

وفي اليوم الخامس عشر من شهر آب مشينا الى دير هناك على اسم العذرى وسكانه راهبات فقدسنا هناك ودخلنا لعند الريسه توسلنا اليها ان تسمح لنا ان نشحد كنيستها فما امكن تسلم لنا (ص ٥٩) بهذا بل قالت لنا بان ديرها فقير وشحاد واعطتنا غرشاً واحداً واستعذرت بقولها انه غير ممكن ان نشحد احداً لان ديرنا اسبيتال مرضى ويلزمه مصروف كثير فهذا غير ممكن ثم يوم عيد انتقال السيدة بدينا نقدس في كنيسة مار بولص الرسول بكنيسة كانويكي برواز وهي كنيسة كبيرة جداً ومن وقت الفجر الى بعد الظهر لم تزل القداديس تتقدم لاحقه بعضها على اربعة مذابح والبشر مثل التراب على بعضها وترى الكاهن حين يبدل ويخرج من السكرستية ما له مكان حتى يمر لان اللاوند واقفين صفين فكل كاهن يخرج حتى يقدس يذهب امامه واحد من الصلدات وهو حامل حربة في رأس رمح قصير ولهم شكل ملابس مثل دروع كنايسية من جوخ نصفه احمر ونصفه ازرق ويمضي امام الكاهن حتى يوصله الى المذبح ويعود ومنها لزم لاي كاهن كان من دخول وخروج فيكون واحد من المذكورين امامه وفي ثلاثة اوقات يصير وعظ بالنهار وعند الغروب يصير مخاطبة روحية مع نصايح للشعب ويصير بركة القربان المقدس بكل احد وعيد وترى الشعب مثل التراب بعباده تحير منها العقول.

وفي اليوم السادس عشر عزمنا على ابتداء الشحاده وخرجنا بعد الظهر بدينا ندور بالبلد الى حكم ثلاث ساعات ما قدرنا نجمع سوى خمسة غروش وربع فقط وخلفنا وامامنا خلق مثل المجرس وكلما وقفنا على دكان تراهم يخافون منا كاننا رايحين ناكلهم ويرون اثوابنا ولحانا فيحيرون كيف يدفعونا عنهم ويقولون لنا اذهبوا الى دير من الديورة امكثوا هناك فراينا قليلين الذين يريدون يعطونا وا كثر عطاهم مصريه فقط واحد اكابر عطانا غرشاً واحداً وكلما دخلنا الى قهوة نصير مضحكة عند (ص ٦٠) البعض والبعض يرقون لنا ويعطونا مصرية ام اقل. ابصر يا سامع كم لزم الى هذه الخمسة غروش تعب وعناء فحالاً رجعنا الى المكان الذي نازلين به من شدة الحيا والخجل مثل الاموات ولكن في هذه الدورة اي مكان ندخل اليه كانوا يعتذرون لنا بقولهم بان الخوري ما وصّى لكم ولا اعطانا خبراً عنكم فمن هذا القبيل التزمنا نبطل الشحادة الى ما نأخذ خاطر الخوري.

فرحنا لعند الخوري في ١٧ آب وتوسلنا اليه حتى انه يرضى ويسمح

لنا ان ندور ونشحد داخل الكنيسة يوم احد لاننا اذا شحدنا في باب الكنيسة ما يجينا غير القليل فما امكن ذلك فارمينا عليه جماعة محبين فما امكن بعده كتبنا له ورقة واعرضنا حالنا لديه وفقرنا وايشقدر رهبنتنا مسكينة ومديونه وعرفنا عن الرسالة التي تعملها رهبنتنا في الشرق وكل هذا ولم يصر فائدة معه بوجه من الاوجه فاستقمنا على هذا الحال الى اليوم العشرون من الشهر ولم نقدر نأخذ خاطر هذا الخوري القاسي ففي تلك الايام كان عيد السلطان الواقع في ٢٥ آب فعزمنا على الرحيل من بهريز الى ورساليه فاخذنا من معلم اعتراف السلطان مكتوب توصية الى معلم اعتراف الملكة وجدّينا على السفر وثاني يوم رحلنا مع قوجيه قاصدين ورساليه وبعد اربع ساعات وصلنا.

ومررنا بطريقنا على اماكن عظيمة متنزهات وبساتين ومقاصف وقصور شيء يعجز عنه النظر حتى لا يمكن ان تتصور ولا تدهن بالدهنات لانه شيء يدهش العقول لاننا كنا نظن ان هذا البنا هو خلقة رحمان ما هو من صنع ايادي ثم بعد وصولنا الى ورساليه نزلنا في بيت اخت الذي كنا نازلين عندها في بهريز والمذكورة ما وجد عندها بيت فاضي لكي ننزل به فانزلتنا في بيت جارتها ورأينا بان المعاش غالي جداً لان كل يوم يريد لنا مصروف غرشين ولكن المذكورة صار لنا منها اسعاف واخذت منا كل يوم غرش فقط ثم ثاني ذلك اليوم رحنا لعند معلم اعتراف (ص ٦١) الملكة واعطيناه المكتوب الذي له معنا من معلم اعتراف السلطان وتوسلنا اليه جداً واعطيناه الباطنتات الذين معنا قرأهم لكي يحكي لنا مع حضرة الملكة لكي تنعم علينا باحسان فقال لنا انه ما يقدر يضمن انها تعطي شيئاً لانها متضايقة كثيراً ولكن يتكلم معها واوعدنا بانه ثاني يوم سيروح لعندها ويرد لنا الجواب ثم اننا خرجنا من عنده ومضينا الى عند مدامة بيرين ريسة اوضة الملكة فقبلتنا بمحبة وبشاشة وسألتنا عن المكان الذي نازلين فيه فاخبرناها عن المكان فقالت لنا انزلوا عند الرهبان فقلنا لها غربا ولا نعرف احداً فقالت انا اليوم ارسل خلف ريسهم واتكلم معه لاجلكم ينزلكم عنده وتوفروا عنكم كل يوم غرشاً ونصف واوعدتنا باننا نرجع لعندها بعد الظهر فعدنا اليها بعد الظهر رأينا ريس الدير الذي اوعدتنا فيه موجوداً عندها مع واحد من رهبانه واستعذر منا ومنها انه ما يمكنه يقبل عنده احداً لان عنده مجمع معاملة (...) واقنعها فخرجنا من عندها بغير فائدة كلياً.

بستان السلطان

ولما خرجنا من عندها كان الوقت بعد الظهر ودخلنا الى بستان السلطان الذي في ورساليه ذلك المكان الذي يسكت عنه ولا يمكن لسان يقدر يصف قليلاً من كثير الذي رأيناه في هذا البستان اولاً كبر البستان طوله وعرضه سوي على التربيع مقدار مسافة ثلاث ساعات طول ومثله العرض وجميع مفترجات ومقاصف عجيبة وغريبة شيء يذهل العقل ويضيع المخيلة ويظن انه منام اولا ارضه مقصوص حشيشها مثل نقش الطنافس الرفيع والحشيش ذاتـــه اشكال ابيض وسنجابي واسود واحمر ايضاً ثم الزهور والمزروعات في هذا البستان هي زهور عجيبة مثل زهور الجنة ثم داخله نحو من اربعماية بركة ماء جميعهم من الرخام والسماقي وغير احجار وكل بركة شكل ورسم جديد ثم في كل بركة وعلى كل بركة انواع (ص ٦٢) حيوانات من النحاس الاصفر ومن الرصاص المذهب اشكال والوان كل حوت وكل حيوان قدر عفريت كبير اعظم من جمل او فيل وبعضهم قدر البقر والبغل والماء يخرج من افواههم بطرايق عجيبه وترى السبـــاع مقتنصين غير حيوانات والنمورات ماسكين حيوانات اشكال والوان واجناس مشتبكين في بعضهم فالجميع تراهم شيء طبيعي كل حيوان لابس ثوبه ولونه من الدهانات الغريبة وما ناقصهم سوى الحركة وكلهم يرمون الماء من مواضع جملة واكثر الماء يخرج غلظ عمود غليظ جداً وعلو مأذنة ثم داخل هذا البستان العجيب بحرتا ماء تمشي بهما شخاتير في كل بحرة عشرة شخاتير جملة وهذه البحرات الماء مليانات حيتان كثيرة ومتى حس السمك باحد ماشي على حافة البحرة يخرج السمك حالا الى وجه الماء لكي يري حاله الى الناس الماشين ويطلب القوت لانهم علّموه هكذا وجميع اشجار هذا البستان تراها كلها شغل مقص منها اسواق ودكاكين واقبوه وحيطان شيء عجيب وفي وقت الظهر في شدة الحر تجد هناك برد بين تلك الاشجار وترى اشجار السرو مصنعة مثل القبب والخيام وشكل اللعلع تراه اشياء لا تتشخص الا بالنظر وداخل هذا البستان قدر التين واكثر قطعة شخوصة رخام ابيض ففي كل شخص قدر آدميين فرد شقفه وتحت كل شخص قاعدة من الرخام طول قامة انسان فرد قطعة وسمكها ذراعان واكثر وهي مشغوله شغلاً يسكت عنه وفيه ايضاً شخوصه من النحاس الاصفر يمكن تقل كل واحد حكم عشرة قناطير وفيه اجران مشغولة صنعة اقداح من

النحاس الاصفر يمكن كل واحد تقله خمسة قناطير وهم ماية جرن برسم الزرع وجميع هذه الاشخاص مع النحاس هم اصنام قديمة كلهم وهذه الانواع الحيوانات التي موجوده على البحرات كلهم وحوش مائية وبرية وانواع الطيور كلهم تراهم اشيا كانهم طبيعية وداير هذا البستان كلها (ص٦٣) مخادع مصنوعة من الاشجار وكلهم روضات وداخلهم الغزارات ورميات الماء واشخاص ومقاصف وهذه الاشخاص اكثرهم ثمنهم ماية الف ثلث (كذا) واكثر ولم يوجد بهم شخص اقل من عشرون الف ثلث ثمنه وهذه الاماكن جميعها مطوقة بالحديد علو قامتين ولها ابواب من الحديد شبه ابواب العلالي . ثم يوم عيد القديس لويس كل سنة يفتحون هذه المخادع ويلعّبون الامياه في جميع الشخوصة فذلك الوقت ترى العجائب شيء يذهب بالعقل لانه شيء لا يوصف الا بالنظر ترى الامياه نازلة من فوق منحدرة الى اسفل وصاعده من جميع السقوف والحيطان والاراضي من غير ان يبان لها مكان صعود او هبوط ترى من الامياه بصفة قصورة وازهار واقبوه عجائب وغرايب كلها من الامياه وترى ايضاً صوراً مثل شمشون الجبار والتنين وجلعاد الجبار وغيرهم من الجبابرة التي صورهم مصنوعة من الرخام وتخرج الامياه من افواههم تحت عمود وعلو مأذنة واعلى بصنع عجيب وترى بعض حيوانات ماشية في الماء وهي ترسل الماء من افواهها داخل الماء ثم رأينا في البستان من الارض خارج اصوات غريبة سألنا عنها قالوا لنا هذه كلها موسيقه الماء . رأينا هناك من العواميد سماقي ورخام وزرزوري واصفر وغير الوان قطع يسكت عنها لان كل عمود زلمتان لا يقدران يخوطانه وعلو شامخ اكثر من عشرين ذراعاً وكل واحد تحته ركيزة من نوعه مطوقة من النحاس الاصفر الملطوخ بالذهب وقد ضبطنا عدد مكان واحد من العواميد وكان العدد اربع وستين عموداً من الاحجار المذكورة كلهم مقابلة ودرابزونات هذه الامكنة كلها من الاحجار المذكورة وجميع الارض مبلطة من انواع هذه الاحجار وداخل البستان مقدار ماية درج من الرخام الابيض الصافي وعرض كل درج يصعد عليه اربعون او خمسون نفر جملةً جنب بعضهم ولئلا نطيل الكلام فلنسكت ولنسكت عن وصف هذا المكان الذي يفني الزمان وفيه ما لا يوصف . (ص ٦٤) قد اخبرونا اناس ثقاة ان الكلفــة التي تحت الارض تعادل الكلفه التي فوق الارض وتنوف من اشغال الحديد والنحاس والرصاص والعماير والكلف وكل ماء من هذه الامياه لها مفتاح وحدها وحركة وحدها وقريب من هذا البستان

معمر سبع قلاع من الرخام ومن الحجارة المذكورة ومنهم قلعة واحدة مبنية كلها ارضها وحيطانها وسقفها من الرخام الابيض الشفاف المجلي داخلها وخارجها ابصر كم مكلفة هذه القلعة وكل قلعة من هذه القلاع لها بستان مثل المذكور اعلاه من الشخوصه والحركات لكن كان ماء وحركته شكل تفرق عن غيره وقريب هذه القلع رأينا مكاناً الى الحيوانات المسمى اصلان خانه مكان الوحوش ورأينا مكان فيه اطيار انواع انواع وحيوانات سباع ونموره اريل خنزير ضبع طاووس ورأينا جملاً له صنان الصنم الواحد مرخي على ظهره طول ذراع ورأينا عجلاً له في رقبته رجل خامسة وقطاط برية كل قط قد معزايه وغير حيوانات لم نعرفهم ولم نعرف اساميهم وكل من هذه الحيوانات له اوضه قايمة بذاتها احسن من اوضة راهب من رهباننا مكلفة وجميع الطرق متصوصين اشجار مثل التبو المكلف والارض مبلطة كلها .

سراية السلطان

ثم بعده دخلنا الى سراية السلطان (ص ٦٥) في ٢٦ آب تفرجنا على سراية الملكة وعلى سراية الدولفين وسراية بنات الملك في ٢٨ دخلنا سراية الملك وتفرجنا على جميع الاماكن وماذا اقول وماذا اتكلم عن الذهب والفضة والاراضي المفروشة بالمرمر والرخام وتلك الحيطان والنقوش المدهشة والبوشخانات المزركشة بانواع الجواهر واليواقيت واللؤلؤ والذهب وتلك الكراسي الذهب. وتلك التخوت التي هي مراقدهم . وعلى الخصوص مرقد السلطان وتلك الثريات البلور وعن تلك القصور البلور ، وعن المرايا التي كل واحدة قدر باب خان الصياغة في طرابلس . وعن حيطان المرايا الذين كل مرايه من طول الحيط الى آخره وعن الساعات العجيبة التي لا يمكن عدها من كثرتها . . . .

وعن ساعة الملك الكبيرة . التي هي عجيبة الدنيا لانها حين يصير الظهر . ويصير وقت الذي تدق به ترى يخرج ديك ويحرك جناحيه . ويزعق ثلاثة اصوات مثل صوت الديك الطبيعي لا فرق . ثم بعده ينفتح باب بمصراعين ويخرج ملاك وفي يده تاج ثم ياتي الملك الى باب امام ذلك الباب والملاك يضع التاج من يده على رأس الملك حالاً تسمع دق آلات الموسيقى شي مكلف قدر ربع ساعة نوبه مركبة من آلات عجيبة ثم بعد هذا يخرج عبدان آخران في يد كل عبد طاسة كبيرة شبه ناقوس

اندق ماسكينهم مثل اتراس في يدهم (ص ٦٦) ويأتي اولئك العبيد الاولون الذين في يد كل واحد منهم شكل دبوس من حديد . ويتقدمون امام هؤلاء العبيد وينتدبون يضربونهم على تلك النواقيس شكل جنك الاولين يضربون والثانيون يأخذون الضرب بتلك النواقيس التي هي شكل اتراس آخذينهم بايديهم الى تمام اثنتي عشر ضربة ثم يرجعون جميعهم يسلمون على الملك الذي هو في نصف الساحة متوج ثم ينصرفون وبعده الملاك يرفع التاج عن راس الملك وينصرف والملك ايضاً ينصرف وتغلق الابواب كما كانت وبها الشمس والقمر مع انتقالاتها ووقت ولود القمر على الدقيقة وفصول السنة الاربعة والايام والاشهر واسماؤهم وغير اشيا وكل هذه الساعة مصفحة بالذهب الابريز وعلو هذه الساعة قدر قامة ونصف وعرضها قدر ذراعين وشكلها مثل قدح وفوقها شخوصه وزهور صناعتهم عجيبة والازهار والقطع والتحف العجيبة المصنوعة من النحت والبلور تراها عجيبة كانها الوان طبيعية من حيث الوانها واوراقها ورفع شغلها ما تفرق عن الزهور الطبيعية واكثرها من الحجر ومن غير اشياء لا يعرف معدنها ما هو ثم ماذا اخبر عن الشماعدين الذهب والفضة وعن صناعة الشمع الكافور البديع السكب لانك ترى كل شمعة باربع فتايل كانها صليب واشكال غيرها من كل نوع وترى وسع ليوان الملك حيث يصير الديوان شيئاً عجيباً والوجاقات كل واحد كم شكل اشكال (ص ٦٧) غريبة ومالي اقول عن آلات الطرب التي يلعبون بها في اوقاتها وعلى الخصوص آلة الطرب التي الى الدولفين وللسلكة ولبنات الملك وغيرها من آلات الزركاش ودواليب الغزل التي يشتغلون بها كلها من الذهب والفضة والابنوس والتخوت حال المختصة بالفرشات التي هي رسم الملكة والدولفين والملك والبنات لان كل من المذكورين له ثلاث فرشات دائماً غير انه السكوت عنهم اوفق من حيث الزركاش والذهب والفضة والحجار وتخوت العود والصندل والابنوس وسن الفيل وسن السمك وغيره شيء يدهش العقل .

كنيسة السلطان

ثم نخبر عن كنيسة السلطان التي سقفها وحيطانها وارضها كلها من الرخام الابيض المجلي كل حجر ما له ثمن الجميع مزمك بالذهب الابريز وداير هذه الكنيسة عواميد واحد فوق واحد جوز جوز كل عمود قطعة واحدة وعلو الكنيسة علو هذه العواميد الذين هم فوق بعضهم ويبلغ علوهم

هل قدر حتى اذا اراد احد يرى سقف الكنيسة يلزمه ان ينام على ظهره حتى يرى علو السقف من غير مبالغة والارغن الذي داخل هذه الكنيسة عرض واجهه قدر عشرة اذرع وعلوه علو عمارة بيت وجميعه من الذهب والفضة وقبال المذبح الكبير ثاني طبقه من العواميد ترى كشكين سقفهما قبب وهما مرفوعان على ثمانية عواميد (ص ٦٨) كأنهم شمع مركبين من الحجر اليماني الابيض اثنين ومن اليماني الاحمر اثنين ومن البشم اثنين ومن اليصب اثنين ومثل العقيق والجميع مع القبب مزمك بالذهب الخالص وداخل كشك الملك بردا داير ما يدوره من الحرير الابيض وداخل كشك الملكه بردا من الحرير الاخضر وداخل كل كشك كراسي ومساجد من الذهب والفضة بيّن العواميد وبين العمود والعمود فرد قطعة لوح بلور نجف طول ثلاثة اذرع وعرض ذراع ونصف مزماك بالذهب وهذه الكشوك برسم الملك والملكة وارض هذه الكنيسة تصفها الواح سماقي وزرزوري ورخام عجيب كل لوح قدر اربعة اذرع طول وزراعين عرض ونصف الكنيسة الآخر شكل فسيفساء سماط شكل زهور عجيبة شيء يبهر العقل والمذبح جميعه مع بيت القربان من الاحجار الغير معروفة بل شغل رفيع جداً يدهش العقل وموجودة هناك بعض صور السكوت عنها اوفق لئلا نطيل الخطاب بالاشياء التي لا تدرك الا بالنظر. ونظرنا باوضة الملك والملكة صور ما يعرف ثمنها افهم ايها القاري ان جميع ما شرحته وذكرته لك قليل جداً ولم ابالغ بل اقتصرت لانه لا يمكن الوصف على ما رأيت واعلم ان هذه العماير جميعها وما ذكرته وما يفوقه كثيراً هذه كلها عمارة السلطان لويس الرابع عشر وكلها عمره وافعله كان بايام التي كانت تحاربه سبعة ملوك وخمسة امارى اعدايه وهو وحده قاومهم وغلبهم وكسرهم وبايام هذه الحروب عمر جميع هذه العماير انظر قوة ملوك فرنسا وقد اخبرنا بعض ثقات ان السلطان لويس (ص ٦٩) الجالس يومئذ على الكرسي المظفر انه ذو بأس شديد اكثر من الذين تقدموه وقد عمر عماير شتا عظيمة جداً ايام الحرب وقبلها والآن له نية ان يعمر عمارة تتكلف ستة مليونات اي ست كرات غروش.

ونرجع الى سياق الخبر من خصوص المشايخ المسميين ذواتهم باشت القدس وباشت الناصرة الذين رأيناهم في بهريز الذين اتوا من كسروان وهم خمسة انفار حال وصلنا الى ورساليا رايناهم هناك. وقد كانوا سبقونا ولم كانوا يقدرون ان يخرجوا من مكانهم لانهم صاروا فرجة من اهل ورساليا وبالخصوص من الاولاد لان الاولاد متى رأوهم يصرخون عليهم

طظر طظر توركو لان كسمهم كان مغبير فبعد دخولنا اخذنا لنا مكان عند قرايب الذين كنا نازلين عندهم في بهريز واستقمنا اول يوم وثاني ذلك اليوم اخذ المذكورون خبرنا حالاً واتوا الى المكان النازلين فيه واستكروا لم اوضه في منزولنا حيث نازلين بفرد درج نصعد به جميعنا وهم فوق منا ونحن تحتهم صار علينا قبل ذلك من قبل اصحاب الحل والربط تنبيه اننا لا نخالطهم ولا نقارشهم كليا لئلا يلحقنا نارهم ونحترق معهم فكيف عاد حالنا وكيف عدنا نعمل حتى لا نخالف الوصية ولا نغيظ المشايخ لان خاطرهم ايضاً لازم فلزم الامر اننا نقتصر فنحن اقتصرنا (ص ٧٠) وتراهم لم يقتصروا عنا طول النهار طالعين ونازلين يفتشون علينا وقد اجتمعوا بنا مرتين فطلبوا منا الاعتراف فقلنا لهم ما معنا اجازة الاسقف اننا نعرّف بهذه المدينة ثم طلبوا منا ان نروح معهم الى عند الرهبان اليسوعيين واتوسل لاجلهم والى عند غير جماعة فصار فينا مثل المثل جاء العليل عند العليل يطلب دوا للعافية فنحن مرادنا من يداوي لنا قرعتنا فجاء من يطلب منا دواء القرعة وبعد هذا بكل جهد حتى قدرنا دفعناهم عنا وصار كلما رأونا يعاتبونا معاتبة حدة لاجل عدم معاشرتنا لهم ونحن نصنع لهم حكايا معاتبة وطفرت نفوسنا من هذا جداً فما رأينا علاجاً لهذا الداء سوى اننا اختفينا من وجههم وصار كلما دقوا باب الاوضة يقول لهم اصحاب البيت انهم غائبون واستقمنا على هذا الحال خمسة ايام وفي اليوم السادس طلع في كتفهم الرحى حتى يدشروهم من ورسالية فاتت جماعة السلطان اليوم والزموهم بالسفر انهم في تلك الليلة لا يبيتون في ورساليه ومعهم وقت الى بعد نصف الليل باربع ساعات يرحلون وان بقوا يخرجونهم قسراً فالتزموا انهم يرحلون لكن بعد الجهد اخذوا اذناً الى ثاني يوم بعد الظهر.

ونحن ذلك اليوم ارسلت خلفنا مضامة بيرين Périn مع اختها (ص ٧١) وطلبوا مني ان نروح نقدس لهم في السرايا المسماة كراند كمون grand Commun حيث اكابر المملكة هناك فمضينا ثاني الايام قدسنا ورجعنا اختفينا في اوضتنا الى حينما سافر المذكورون وقد فتشوا علينا اذ نحن كنا نريد نودعهم ولكن خايفين من الوصية والتنبيه لان عشية تلك الليلة اتى الى عندنا واحد من قبل السلطان وسألنا هل لكم معهم خلطة ام هل كنتم جملة بفرد مركب وبالنتيجة عرفنا اعتراف عام وسألنا عن قصدنا من اورساليا قصر الملك فقلنا له نحن وحدنا وما لنا معهم ولا لنا خلطه بل نحن ناس فقراء رهبان قاصدون احسان الملك وتوسلنا اليه كثيراً لئلا يرسلنا معهم فحين

رأى ان اشغالنا مع اناس من اكابر الدولة فقال لنا انني اشاور عليكم وبرد لكم جواباً انكان ترحلون ام تبقون فحالا ارسلنا اخبرنا مضام بيرين عن هذه الاحوال كلها وبما ان المذكورة امينة اوضة الملكة فحالا ارسلت من طرف الملكة ومنعت المذكور عن التعرض لنا فثاني الايام اتى لعندنا ذلك الرجل وطيب خاطرنا بقوله كونوا انتم في امان وصفاء الخاطر انا مالي عندكم شغل من حيث كونكم انتم ناس ملاح ولكم اشغال اقضوها .

وفي يوم ثلاثين آب جاء معلم اعتراف السلطان من بهريز الى ورساليا فمضينا الى عنده وسلمنا عليه واخبرناه بكل ما جرى وتوسلنا اليه حتى يحكي لنا مع حضرة السلطان فوعدنا أنه يعمل كل جهده بذلك وفي تلك الليلة وصل السلطان الى اورساليا وثاني يوم مضى معلم الاعتراف الى عنده يتكلم معه فما وجد وقت فرجع (ص ٧٢) عشية ذلك اليوم وعدنا الى يوم الاحد الآتي لان السلطان ثاني يوم ذاهب الى الصيد ويستقيم بالصيد الى جمعة لان السلطان يحب الصيد وغاية مرامه الصيد فلزم الامر اننا نصبر واخبرنا الى معلم اعتراف السلطان انه كل يوم يلزمنا مصروف غرش وربع وما لنا مدخول كيف نقدر نعيش فقال لنا اشحدوا هذه الايام خارج ورسالية وداخلها ابتدوا الى حين رجوع السلطان فعزمنا اول يوم ايلول على الشحاده لكي نشحد ورسالية فقالوا لنا بعض محبين اننا ناخذ اذن حاكم ورسالية مع اذن قبجي قاهيه سي السرايه وبدون ذلك لا يصح لنا شحاده فرحنا لعند قبجي كاهياسي وطلبنا الاذن بشحادة السرايه فقال لنا بعد نصف ساعة نعطيكم ورقة الاذن فصبرنا عليه ساعة ونصف الى حين طلع منه الجواب مع ترجمانه بانه ثاني يوم قبل نصف النهار ترجع ونأخذ منه الورقه لانه الآن مشغول ولما جاءنا الجواب كان فات الوقت ما عدنا نقدر نروح الى عند حاكم ورساليه لان صار وقت غذاء الاكابر لان غذاءهم جميعهم بعد الظهر بساعتين ومن بعد الغذاء لا يواجهون احداً الى قرب المساء فتركنا ذلك اليوم حاكم البلد الى ثاني يوم .

فرجعنا ثاني يوم الى عند المذكور كما وعدنا لاجل الإذن فرأيناه قد سافر تلك الليلة الى بهريز في اشغال الملكة فكيف عاد حالنا فحرنا ولكن هناك واحد [من] الاكابر لما رآنا بهذه الحال رق قلبه علينا فقال لنا ان الذي جاء معنا من طرف معلم السلطان انه ينسخ ورقة على نسخة التي اعطونا اياها في كتابه ويحسبها له لكن يضع مكان كتابته اسم ورساليه

وهو يأخذها ويدخل بها عند باشي قبجلر كيباسي ويجعل فوقها بيردي أي يوضع اسمه فوقها فتكون اقوى من التي نحن طالبينها فعملنا كما امرنا وجبنا له الورقة فاخذها ودخل عند المذكور وامضاها ففرحنا كثيراً ورحنا من هناك الى (ص ٧٣) عند حاكم ورساليه فرأيناه مسافراً الى بهريز ايضاً لان حرمته كانت مريضة في بهريز باجدري فمضى الى عندها فكيف عدنا نعمل رأينا ان الله تعالى هيك رايد يكون اسمه مباركاً فصبرنا الى حين مجيئه لانه استقام ثلثة ايام الى عشرة ايلول ولكن في هذه المدة وجد لنا اصحاب ودبرونا بان اخت الحاكم في ورساليه اذا رحنا الى عندها وتوسلنا اليها هي ترسل الى اخيها لبهريز بيوم واحد وتجيب لنا اذناً منه فتوقعنا الاوقات ان جاءت الى بستانها .

فرحنا الى عندها فرأيناها من اكبر معارفنا وهذه هي التي كانت مع امرأة الوزير ذي كوميت فلورنتين فسمعت قداسنا وحبتنا كثيراً لانها عابدة عظيمة وذات سيرة مقدسة وحين رأتنا فرحت بنا جداً وتغدينا عندها واستقمنا عندها اكثر من ساعتين ونصف في بستانها وطلبت منا ان نصلي لها ونرتل بعض صلوات بترتيل نغم الشرق وطلبت منا ذلك بلجاجة فعند ذلك رتل لها الاب ارسانيوس بيت مشكوحو بالسرياني وهو كنشه وبعض ابيات من الشحيم ففرحت وضحكت ثم بعده توسلت اليها مقصودنا وهو الاذن بخصوص باطنتا Lettre patente عمومية لاجل شحاده (في) كل ملك فرنسا لان المذكورة هي محبوبة عند كافة الاكابر حتى عند السلطان ذاته فوعدتنا انها تكتب الى اخيها لبهريز وهو يكتب لنا يرسل لنا اذناً للشحاده وايضاً وعدتنا انها ثاني يوم تروح الى عند الوزير يبريو وتستمه لاجل باطنتا عموميه فسلمنا عليها ورجعنا الى مكاننا فبعد بساعة ارسلت يازجيها الى عندنا لكي ينسخ صورة دستور المطران وحالا ارسلت الى بهريز تطلب من اخيها باطنتا لاجل اذن الشحادة وحين وصول مكتوبها (ص ٧٤) الى بهريز كان اخوها سافر من بهريز الى مكان بعيد عشر ساعات وبالنتيجة كانت اشغالنا معسرة من كل جانب فارسلوا له المكتوب من بهريز وبعد خمسة ايام (من) وصول جواب المكتوب ارسل باطنتا مكلفة باننا نشحد في ورساليا وايالتها ستة اشهر .

فاخذنا الاذن مع باطنة المطران وخرجنا نشحد بكل قلب في اليوم السابع من ايلول ودرنا على الابواب الكبار من بكره الى بعد الظهر فما

كان حراس الابواب يتركوننا ندخل الى عند احد الاكابر بل كانوا يمنعوننا عن الدخول فبعدها وجدنا اثنين من الاكابر فاعطيانا كل واحد غرشين ورجعنا ولم نزل نتعب مدة كم يوم على هذا الحال فما قدرنا نحوش سوى قدر عشرة غروش فرأينا ان ذلك هتيكة من غير فائدة لان البلاد مغليه وكل شيء غالي ما يكفي لنا كل يوم مصروف اكل ونوم غرش وربع فعزمنا على الرحيل الى بهريز وبعض محبين ما تركونا نرحل بل انهم اوعدونا انهم يعملون حد جهدهم ويطالعون لنا دستوراً مكرماً من السلطان والسلطانه باننا ندخل الى كل مكان من غير احد يمانعنا بالدخول وهؤلاء المحبين هم من اكابر خدام الملكة وهم خمسة اخوات بنات غير مزوجات بل شكل قديسات وهم سعوا لنا كثيراً عند المحبين وقد نفعونا كثيراً لانهم لموا لنا قدر خمسين غرشاً من محبيهم وعرفونا مع اكابر كثيرين وفي اليوم العاشر من ايلول تكلم مع الملكة معلم اعتراف الملك ايضاً وحضرة الملك تكلم مع جميع اهل الديوان بانه راضي على رهبنتنا ومحبتها وامر الى الوزير ان يعمل لنا مساعدة بحسنة .

وذلك اليوم سافر الى الصيد ما عاد يرجع الا بعد شهر كامل وبعد ان سافر حضرة الوزير تشاور مع معلم اعتراف السلطان وارسل لنا مع المذكور مايتين غرش حسنة من السلطان واعطانا الدراهم في الوقت الذي يريد معلم اعتراف السلطان ان يسافر فيه مع الملك فبعد ان مضينا الى منزلنا (ص ٧٥) وحسبنا الدراهم فرأينا ناقصة ثمانية غروش فرجعنا حالاً الى عنده فرأيناه سافر ونحن لم نزل مقيمين في بهريز في انتظار وعد المدامه بيرين واخواتها لاجل حسنة الملكة والدولفين وفي اليوم الحادي عشر ارسل دعانا لعنده لنشرب عنده قهوة معلم اعتراف الدولفين لكي يتفاوض معنا بلسان السرياني لان المذكور معلم باللغة السرياني ومراده ان يستفيد منا ببعض كلام من هذه اللغة فتاني يوم قصرنا ذهابنا بعد ساعتين من الميعاد وذهبنا فرأيناه قد ذهب من بيته الى السرايه وكان قصدنا هذا حتى نخلص من هذه العقبة الوعرة وفي هذا اليوم ارسلت لنا حضرة الملكة اربعة وعشرين غرشاً لكي نقدس لها عن روح معلمها الذي توفى من سنتين وفي اليوم ١٢ مدامة بيرين مع مدامات اخر اخذوا لنا اذناً انا نشحد مولد الكران كمون ففرحنا بهذا ومضينا الى هذا المكان ولم نزل مصلوبين يومين كل يوم حكم ثلاث ساعات حتى يصير لنا اذن بالدخول فشحدنا اليومين اجانا منهم خمسة غروش وثلاثة فضة وعند ذلك كتبنا عرضحال بالمقتصر

واعطيناه الى خوري كنيسة مريم العذرى وكنيسة ريكولا Récollets لكي نشحد يوم الاحد في هذه الكنائس المذكورة وفي يوم الاحد شحدنا كنيسة اريكولا واستقمنا نشحد من بكره الى بعد الظهر بساعتين في الكنيستين فكل الذي جاء اربعون غرشاً فقط من بعد الجهد الكلي لان اكثرهم يعطونا نصف عثماني وقليل منهم الذين يعطونا دراهم فضة.

والمشايخ الذين هم من كسروان بعد ان دفعوهم من ورساليه اتوا الى بيريز لعند دوك دورليان d'Orléans فاعطاهم الف ثلث حسنة واربعة روس خيل وسافروا من فرنسا.

غذاء الملكة

ونحن استقمنا نشحد في ورساليه جمعنا ثلاثماية غرش وازود مع حسنة السلطان والملكة وفي اليوم المذكور اجانا خبر من المدامه بيرين اننا نذهب يوم العشرين الى عند الملكة لانها امرت ان نحضر لعندها لكي ننظر كافة الخادع التي لها وعلى كافة القطع التي عندها ثم نحضر غداها ونتفرج على غدات الملوك (ص ٧٦) فرأينا ذلك محبة زايدة لان جميع الذين سمعوا قالوا هذا عجب كلي فتاني الايام مضينا تفرجنا على اشياء مثل قطع يعجز عن وصفها اللسان بخصوص الجواهر والقطع الفريدة والذهب والفضة والصيني وغير اشياء من ثم ادخلونا اوضة واجلسونا على كراسي كنت ارضى هذه تصير غنارات الى كنيستنا وهناك جلست الى ان اقبلت الملكة ولكن باي هيبة ووقار اقبلت وباي احتفال اتت وابنها الدولفين اتى امامها بجمهور يحرز وهذا الجمهور اوصلها الى قصرها ورجع واما حضرت السلطانة حين اقبلت بهذا الاحتفال وقفت وسلمت علينا سلام كافي كالواجب ثم دخلت قصرها فحالاً قدموا لها المايدة وكان كثيرون امراء قايمين بخدمتها فعند ذلك امرت ان ندخل فدخلنا امامها فبدت تتغدى باحتشام وادب لانها عابدة وسيرتها سيرة قديسين وصارت تأكل وتتكلم معنا حتى اكملت الغداء وكنت ترى منها احتشاماً مسيحياً شيء يذيب القلب.

فبعد خلوص الغداء خرجنا من عندها كلفونا لنتغدى عند واحدة مضامة من مضامات خدمتها فنحن لما نظرنا الى الغداء كانت تلك المضامة قايمة بخدمتها وقد ارسلت لنا الملكة معها اربعين غرشاً وقد اخبرتنا ان الملكة بعد خروجنا من عندها تكلمت معنا كل مديح عنكم وقد ارسلت لكم

هذه الدراهم تطلب دعاكم وماذا اقول عن تلك الاطعمة التي كانت موجودة على تلك المائدة يمكن خمسون لوناً (ص ٧٧) واشياء لا نعرف اسمها وكان حديثنا معنا بخصوص رهبنتنا عن سلوكنا في بلاد الاسلام وما شاكل ذلك وفي اليوم الحادي والعشرين ذهبنا الى عند الدولفين وحضرنا غداءه وغدات حرمته لانهم تغدوا جملة وكان حاضراً جملة اكابر والوزير الكبير ولا واحد من هؤلاء جلس على المايدة ولا على كرسي بل الجميع واقفين ممتثلين بالخدمة سوى ثلاث ستات هم دوشيس فقط هؤلاء الذين جلسوا فقط ولم يتناولوا من شيء فقط جالسين وكان الدولفين يتكلم معنا ويسألنا عن مؤسس رهبنتنا وعن اديرتنا وعن عيشتنا وذلك الوقت وجد عنده رجل كاهن من كهنة الدولفين وكان صديقنا جداً وهذا افهم عنا حضرة الدولفين شيئاً مناسباً لنا ولرهبنتنا وقد مدح الرهبنة مدحاً رفيعاً جداً واخبره عن فقرنا وعازتنا واحوالنا وقوي انجبر خاطرنا بهذا الكلام.

غير انه ذلك اليوم لم يصر لنا من الدولفين شيء احسان لانه على ما نرى انه لم يرد يعطينا الا على يد معلم اعترافه ومعلم اعتراف الملك لانه هكذا اوعدهم وجميع من كان يرى او يسمع ان الملكة والدولفين دعونا وتحدثوا معنا فكانوا يعتبروننا جداً ونحن كان رجاؤنا الخير على يد الحبيبين لانهم جميعهم اوعدونا الى رجوع السلطان لكي يساعدونا بلم حسنه (ص ٧٨) جيدة ولم اقدر ان اصف مايدة الدولفين وغناها لانه لا يدرك الا بالنظر والاعادة ما بها افادة وفي اليوم في ٢٢ ايلول قدسنا بكنيسة السلطان في الصرايا على مذبح مار لويس ملك فرنسا وهذا المذبح يدهش البصر ويذهل العقل من حيث الكلفة والاحجار الثمينة وحسن النظام والعمارة وبعد القداس كلفنا واحد من كهنة الدولفين وهو قدر مطران وشربنا عنده قهوة وايضاً كلفونا نقدس بهذه الكنيسة لكي المنسنيور الذي للدولفين يسمع قداسنا. هناك ثاني يوم قدسنا وعزمنا للغداء كلرجي السلطان وعمل لنا ضيافة سنية مكلفه فتحرز مع واجب واحترام وبعده شحدنا ورساليه داخل الكنيسة وشحدنا سان جرمين Saint Germain داخل الكنيسة وصار لنا بسان جرمين عز واحترام كثير حتى انهم ما رادوا يتركونا نسافر من عندهم بل عوقونا عن سفرنا بيومين ازود من عظم المحبة التي صارت لنا منهم وجاءنا منهم احسان مائة وعشرين غرشاً احساناً مع ان الجميع كانوا يخمنون ان اقل من خمسين غرشاً يحصل لنا من سان جرمين ولم تتكلف شيئاً اصلاً.

مياه ورسايله

ثم رجعنا الى ورسايله وبرجوعنا (ص ٧٩) تفرجنا على المكان الذي عامله سلطان فرنسا على النهر تلك الطرنبات والدواليب الحديدية والحركات العجيبة والصناعات التي لا يحيطها عقل انسان وقد اصعد بهذه الحركات الماء من النهر الى جبل عالي جداً واخذها الى ورسايله وقد خالف المثل القايل الماء لا يطلع بالطلوع وقد اصعده من النهر الى علو هذا الجبل الذي ولا بالنظر يتصدق وهذا المكان الذي فيه هذه الحركات هو من احدى عجائب الدنيا المعتبرة لانه من كافة الاماكن والاصقاع والمدن والضياع يأتون لكي يتفرجوا على هذا المكان الواجب له الفرجة الذي من لا يراه لم يرَ عجيبه حتى اولاد الملوك والاكابر والعظماء والاشراف من ساير الممالك يأتون لكي يروا هذا العجب مع بستان السلطان وحقاً ان كلما هناك فهو من عجايب الدنيا واعجب العجائب.

ويأتون ينظرون كيف ماء النهر صعد الى علو شاهق مثل هذا وبُعده حكم ثلاث ساعات وكل دقيقه من دقائق الساعة يجري منه هذه الحركة ثلاثة قناطير من الماء اي كل ساعة يجري مايه وثمانون قنطار ماء الى ورسايله من النهر المذكور وغير ممكن ان احداً يقدر يتشخص بعقله هذا العمل ما لم يراه بعينه من حسن نظام وهيئة هذه الدواليب والحركات وبيوت الماء لانه عامل على النهر بناية من الحجر والدف والخشب مكان طوله قدر ثلاثماية ذراع طول وعرض وهذا المكان قايم على ثلاث طبقات يصعد اليها بدرجات من الدف الثقيل وعامل لهذا الماء ثماني عشر ناعورة كل واحده وسع دور دولابها قدر ماية ذراع كلها من الدف الثقيل وعلى كل واحده يمكن قدر عشرون قنطار حديد وفوق هولاء الدواليب ايضاً قدر ثلاثين دولاب اخر غيرها وشكلها ما هو بالدور بل مثلثات الزاوية وبين كل واحد من هذه الدواليب دولاب صغير شكل سربس وهذه الدواليب المثلثات لا تدور دوره كامله بل تدور ثلثي (ص ٨٠) دوره وترجع ثم تقيدها وحلم جراً ثم على كل دولاب من الدواليب الكبار ثمانية عشر مركبة عليه وحوله حركات تدهش العقل والبصر وجميع مجاري المياه كلها لها اكواز من الحديد والرصاص غلظ كل واحد قدر انسان وفوق هذه الدواليب والحركات والطرنبات آلات مثل آلات شغل النول وبعضهم مثل دولاب الفتال وغيرهم مثل محالج القطن وشيء طالع وشيء نازل واناس

راخون واناس جايئون وحبالهم من الحديد المرقوق سمك اصبعين وعرض كف ومدودين على كل الآلات يمكن درب ساعة طولهم وكل هذا الطريق اكواز من الحديد غلظ ثلثي ذراع وعدتهم سبعة عشر كوزاً والماء جاري منهم اي من سبعة عشر طرنبة وكل طرنبة رايح منها الى رأس الجبل كوز واحبال الحديد كلهم من النهر الى رأس الجبل واحد رايح واحد جاي لاجل تحريك الطرنبات المعموله على الطريق وبين كل نصف ساعة معمرة عماره داخلها طرنبات ودواليب وحركات عجيبة وتشتغل ليلاً ونهاراً من غير ان ترى احداً يحركها غير ان دواليب النهر في دورها تحرّك وتشغل هذه الحركات كلها وبمرور هذه الامياه تجري على الضيع ولها اماكن تغور فيها من هذه الامياه ثم تصل الى اعلى مكان حتى الى رأس الجبل .

وفي رأس هذا الجبل مبني قدر ماية قنطرة وعلى ظهرها شكل نهر وعلو النهر الفوقاني جايه من هذه الحركات وعلو هذه القناطر قدر خمس قامات وفي سفح هذا الجبل مبنية بيوت وسرايات من تحت الى فوق وبساتين وقصوره وكل منها له استحقاق من هذه الامياه وكل دار ترى قدامها بركة واجران والماء جاري بها وما لي اتكلم عن ما وقف بوصفه المعلمون كلهم . ثم بعد ان تفرجنا على اعجوبة الدنيا فرجة كما يجب فرأينا في آخر هذا الجبل صراية معظمة جداً مع بستان جميل وعظيم قوي مكلف بالغاية ودخلنا اليه لكي نتفرج عليه ولم نعلم هذه الصراية وهذا البستان لمن يكون ومن هم (ص ٨١) اصحابه غير انه بعد ان تفرجنا على مقاصف وغياض هذا المكان خرجنا منه لنذهب الى مدينة مولي Molay وهذه المدينة بعيدة عنا قدر ساعة ونصف فمشينا حكم ربع ساعة او اكثر واذا بواحد لاوند مكلف قوي راكد ورانا وهو يصيح يا ابونا قفوا فعند ذلك وقفنا لنبصر ما الخبر فوصل لعندنا وهو تعبان فرأيناه رجلاً لابساً ثياباً مكلفه جداً بقصب وما شاكل ذلك فقال لنا ارجعوا معي لان علو شان سيدتي تريدكم فقلت له من هي ستك فقال مادامه دي كومبته كولوزه فقلنا له ما تريد منا فقال امرتني ان ادعوكم .

فرجعنا الى الصراية فرأينا هناك جملة خدام كثيرين والجميع مكلفين وقبجيه غيرهم مكلفين موجودين بالباب مثل باب الملوك فدخلنا وسلمنا فقالت الست السلامة السلامة بكم يا ابهاتنا فجلسنا قليلاً الى ان تآنسنا معها فقالت لنا انني اريد من فضلكم يا ابهات ان تقدسوا عندي قداساً

في طريقتكم لكي ابصر رتبتكم وطقسكم فقلت لها يا حضرت الست نحن اليوم قدسنا وما عاد يمكن ان نقدس اليوم مرة أخرى فقال غداً تعالوا الى ها هنا وقدسوا عندي فقلنا سمعاً وطاعة . فثاني الايام جئنا الى عندها وقدسنا فعملت لنا ضيافة سنية جداً وتغدينا مع رئيس السلكند على فرد مايدة ثم بعد الغداء دخلنا الى عندها واستقمنا عندها حكم ساعة ونصف وهي تسألنا عن رهبنتنا وعن الاديرة وعن القانون والمعيشة ونحن نجاوبها الى حين ما انتهت فاعطتنا واحد ذهب بثمانية غروش ثم ودعناها وانصرفنا من عندها سألنا البعض عنها من تكون هذه الست فقالوا لنا ان هذه زوجة ابن لويس السلطان الرابع عشر ام دوك دي بنتير .

ومن هناك رجعنا (ص ٨٢) الى ورساليه واستقمنا يوم واحد وسافرنا الى بهريز نوجد لنا مساعده وهي الست الشريفة مادامة الدوشيس داكيان صاحبة السيرة الملائكية لان الست المذكورة مع انها من دم ملوك فرنسا الا انها عابدة حقيقية لله والمذكورة ساعدتنا مساعدة حقيقية من كل قلبها وجهدها حتى اننا قدرنا شحدنا داخل كنائس بهريز وكنت ترى يوم الشحاده اولاً يوصي لنا الخوري ويوصي لنا الكاروز في المنبر وبعد الوصية يقرأ ورقة نحن كتبناها نعرض احتياجنا وضروريتنا وحال رهبانيتنا وضيق الرهبنة وديونها فكان يقرأ هذه الورقة على مسامع الحاضرين وبعد هذا يدور امامنا السويس Le Suisse المتعين على الكنيسة التي نشحدها وكل من المسيحيين يرمي لنا في الكيس الذي بيدنا الاحسان الذي يعطيه فكان البعض يرمي لنا ريال الذي قيمته نصف عثماني وغيرهم ثماني مصريات وقليلون يرمون غرشاً النتيجة شحدنا في مدة شهر في برواز المادلينا Paroisse de la Madeleine وفي برواز سان نيكولا فحصلنا من البروازين ومن كافة حسنة بهريز ثلاثة وستين غرشاً خرجنا نصفها على الاكل والسكنة وكنا نركد كل يوم ست او سبع ساعات بغير فطور ولا اكل حتى قدرنا حصلنا ما ذكرنا وما كنا نقدر نبصر لنا وجه فرج واستقمنا على هذا الحال الى ٣٠ تشرين الثاني .

فبعده بواسطة المحبين والاكابر الذين تعرفنا بهم وعلى الخصوص مادامة الدوشيس دبان صرنا نشحد كل الكنائس وقد تعبنا كثيراً لكي نقدر نشحد في البيوت فما امكن ان يسمحوا لنا بذلك لان امورهم كلها مرتبة وما يقدر احد يصنع شيء من رأسه بغير اذن الخوري ام اذن وكلاء المحلة

حتى يقدر يشحد ثم اننا ذهبنا الى عند ايلجي مالطه وطلبنا منه المساعدة على قضى شغلنا وتحديد حماية الملك المعظم الى رهبنتنا ووفاء دين رهبنتنا واريناه باطنتة سلطان مالطه فقرأها ووعدنا في المساعدة وكتبنا عرض حال جديد الى السلطانة به نطلب تجديد الحماية واعطيناه الى الجي مالطه المذكور والمذكور قدمه الى حضرة الملك والملك رضي بهذا ولكن سلم الامر الى الوزراء لكي يفعلوا الواجب لهذا الامر والوزراء (ص ٨٣) طلبوا منا النسخ الاصلية لكي يجددوها ونحن ما عندنا فرمان حماية فقلنا لهم ان النسخ الاصلية ما جبناها معنا فوقع في التعب الجي مالطه لاجل انجاز هذا الامر ومن جهة باطنتا الشحادة في كل مملكة فرنسة فهذه رميناها بيد مادام شاتلين مصاحبجية الملكة .

وفي اليوم الثالث والعشرين من تشرين الثاني رحلنا الى ورساليه انا والاب بيمين في قوجيه Coche جارها رأسان خيل وسلمنا على الاكابر والمحبين وبقينا دايرين ونحن نسلم عليهم لان صار لنا هناك معارف كثيرة وكنا كل يوم نتغذى في مكان عند احد مقدمي الدولة ووصل امرنا اننا تغدينا على مايدة السلطان التي يقدمها الى مطارينه وقسوسه في صراية الكردنكمون وكل هذا لكي نتعرف مع الاكابر لكي يساعدونا على اتمام شغلنا وبسعيهم اخذنا من الدولتين مايتي غرش ومن غير جماعة قدر عشرين غرشاً ومادام شاطلين اعطتنا قطعة قماش تساوي ثمانين غرشاً الى رهبان ماري الياس الرأس ثم عاودنا الى بهريز وقد كانت الملكة في ورساليا ابصرتنا مرتين وسلمت علينا سلام ما تسلمه ولا على اكبر اكابر الديوان حتى ان الناظرين كانوا يتعجبون كثيراً من ذلك السلام وقد امرت الملكة الى حضرة مدامه شاطلين انها تعمل لايدينا فروات لاجل البرد فعملت لكل واحد منا واحدة ونحن توسلنا الى مادام شاطلين انها لا تعملها مكلفات بل تكون مثل فرو ايدي اليسوعية .

وبعد وصولنا الى بهريز ارسلت لنا خبر مادام شاطلين من حضرة السلطانة امرت ان يعمل الى كل منا بدله جوخ لكي نلبسها لاجل شدة البرد لئلا يضرنا ونحن سابقاً قد كنا احكينا الى مادامه شاطلين اننا بعنا كل ثيابنا من شدة العازة وقلة الخرجية التي حصلت (ص ٨٤) لنا في طريقنا من الشرق الى بهريز فبعنا كل حوائجنا من شدة العازة حوائج الشتوية مثل العبي والكبي[1] والمذكورة احكت الى الملكة امرت ان يعمل لنا عوضها

١) جمع عباية وكبود .

جوخ جديد مليح فعملوا لنا ما امرت به ولبسناه ثم ابتدينا نشحد الكنائس فشحدنا كنيسة سان لورنس وسان جرمان وسان روكس الى حد ثمانية كانون الاول فصار عندنا بعد مصروفنا الف غرش .

عشاء السلطان

ثم نحكي لكم عن حضورنا في ورساليه عشى سلطان فرنسا الذي يدهش بنظامه وترتيبه لانه على مايده واحد جلس سلطان فرنسا والملكة زوجته والدولفين والدولفينه وثلاث بنات السلطان المذكور وجميعهم غارقون بالماس وقطع الجواهر حتى من شدة لميع الجواهر مــا كنت تقدر ترى شيئاً لانهم لابسون اشياء تساوي خزاين شتى وتلك المايدة الملوكية ترى كل شماعدينها واوانيها وصحونها وملاقيطها وكل ما يلزم الى مايدة الجميع ذهب ابريز خالص وقدر خمسين شمعداناً بشمعهم الكافور واكثر تضوي في المايدة بشماعدين الذهب ومن خصوص الاطعمة ينوف عن ماية وخمسين لوناً ما يعرف ما هم وكلها في صحون الذهب والفاكية كلها معمولة مثلها تكون على اشجارها معلقة ببلور وفضة وذهب وحول المايدة واقف الوزراء والحراس والاكابر بكل احتشام ثم داير المايدة كراسي مخمل مزركش وجالس فوقها نساء الاكابر والاشراف والوزراء الذين يخصون الديوان وحين يطلب الملك والملكة والدولفين او البنات ليشربوا ترى كل من له واحد مخصص يصرخ اسقوا الملك وكذلك الملكة والدولفين والبقية وكل مرة يريد الملك او غيره ليشرب يقدمون له مشروباً في صينية من ذهب وفيها خمر وداخل قنينتين صغيرتين كل واحدة قدر وقية من البلور الصافي وقبل ان يشرب الملك واقف اثنان كل واحد بيده طاسة من الذهب كل (ص ٨٥) واحد يسكب في طاسته واحد خمراً وآخر ماء من تلك القنّاني ويشربان امام الملك والحاضرين وبعده يشرب السلطان كل هذا خوفاً من السم لان الملوك يخافون بما ان لهم اعداء كثيرين فكل شيء يتقدم الى مايدة الملك والى الملكة من جميع الاشياء ترى اللاونه بالحراب والبندق مرافقين ذلك الشيء والمتوكل على ذلك الشيء ايضاً مع كافة توابعه يرافق ذلك الشيء وغير اشياء رأيناها ورأينا منها العجب ونحن كنا نعمل كل جهدنا اننا نصير معروفين عند اهل المملكة لئلا يعطل شغلنا لان الجميع تلوعوا من شحاذين كثيرين شحدوا فرنسا وكان معهم مكاتيب وباطنتات مزورات وبعده انكشف حالهم وظهروا انهم محتالون مزورون .

اسمع في ٢٤ كانون الاول وصل خبر الى بهريز وهو صحيح ان وجد مطران غريب عند ملك فرنسا وكان معه باطنتا ومكاتيب قوي جيدات وشحد فرنسا وصار له من الشحادة قريب عشرين الف غرش وهو داير من مكان الى غيره وبعده اتمسك في مدينة قريب نورمندية وظهر انه حرامي وحامل عدة مثل طبنجات وبينار وغير سلاح وظهرت عليه دعاوي شتى حتى من جرائها حكمت عليه الشريعة بالشنق فشنقوه في ٨ من كانون الاول الشهر المذكور اعلاه وغير هذا كثيرون الذين غشوا الناس في شحادتهم حتى قطعوا الشحادة عن غيرهم وعاد كل من ارباب الدولة الذي ينبغي ان يعمل حسنة يعطي ما يريد يعطيه الى خوري بيته لكي يفرق حسنة على المحتاجين من الناس من يعطي مايتين وغيرهم ثلاثماية واكثر واقل وهلم جرًّا.

مكتبة السلطان

وفي اليوم العاشر ذهبنا الى مكتبة بسلطان فرنسة وتفرجنا وذلك شيء عجيب من حيث كبرها يمكن قدر سبعماية ذراع كل واجهة منها تحوي اربع واجهات والجميع رفوف من الارض الى السقف حكم عشرين (ص ٨٦) ذراعاً والجميع ممتلئ كتباً مكلفة كلها بعرمة مذهبة كل صف شكل عرمة وبها كتب من جميع الالسن التي موجودة في العالم مثل افرنجي عربي تركي فارسي رومي هندي ارمني سرياني كرشوني عبراني كوفي روسي بلغاري كلداني سرتكاري وغير السن كثيرة شيء يعجب منه وكل لغة لها معلمون يقرأونها ويفسرونها وفي هذه المكتبة متعينة جماعة يمسكون دفاتر لهذه الكتب جميعها وكل اسبوع تفتح هذه المكتبة مرتين يوم الاثنين ويوم الجمعة وكلمن اراد كتاباً من اي لسان اراد يطلبه حالاً من وكيل المكتبة ووكيل المكتبة ينظر في الدفتر ويقول الى الخدام في المكان الفلاني في الصف الفلاني في العدد الفلاني حالاً يذهب ويأتي بذلك الكتاب عينه ولم يغلط ابداً ولا بالسنة مرة واحدة والذي يطلب الكتاب يعطونه الكتاب ويعطونه كرسياً ومايدة يضع عليها الكتاب ويجلس من قبل الظهر بساعتين الى بعد الظهر بساعتين باربع ساعات من غير ان احد يقول له شيئاً وان طلب خمسين كتاباً بعد بعضها يقدمون له ما طلب من غير تذمر ولا كلفة جديد واحد وان طلب كل يوم كتاب يقدمونه له من غير ان يخرج كتاب من خارج المكتبة واسفل هذه المكتبة طبقة في مكان آخر متسع.

جداً وموجود به قدر خمسين الف كتاب جميعها مصورة صور كافة الحيوانات البرية والبحرية الموجودة في الدنيا وكل اشكال الطيور بالوانها وخلقتها وكتب الحشايش والاشجار بزهورها واثمارها واوراقها والوانها وكتب المصورة فيها ساير البلدان وكسمها وكيف علومهم وقوانينهم وعوايدهم وصياماتهم وكتب الحشرات الارضية جميعها اشياء تدوخ العقل وهذه المكتبة مشهورة في الدنيا كلها والذي يريد يتفرج له الكرسي والمايدة ويجلس من غير ان احد يضجر منه وان طلب ماء (ص ٨٧) او غير لوازم يقدمون له من غير ضجر بل بكل محبة ويمكث الى حين يزعل ويمضي ويأتي الخادم يرفع الكتاب موضعه والكرسي والكتاب والمايدة وقد احكى لنا البعض ان عمارة هذا المكان مكلفة اكثر من ثلاثماية الف غرش وهناك رأينا كرات فلك اثنين كل واحدة قدر قبة قاعة كبيرة وغير اشياء تدهش العقل عدلنا عن ذكرها.

وفي ١٢ كانون الاول شحدنا كنيسة مار اندراوس كنيسة العواميد وهذه سابع كنيسة شحدناها في بيريز وهذه الكنيسة صغيرة ما هي من الكنائس الكبار ولكن صار لنا منها اكثر مما كنا مؤملين وبعدها شحدنا كنيسة سان سولبيس وهذه الكنيسة من كبريات كنائس بهريز لكنها عجيبة ابتدأت عمارتها سنة ١٧٠٩ وبعد ما خلصت ولا كملت عمارتها من البنا بل بقي ربعها وقد كانت بلغت كلفتها في هذا التاريخ الى حد الثلاث كرات من الغروش ولتعلم ايها القارئ ان الكرة عشر مرات ماية الف يكون جملة الكلفة ثلاثين مرة ماية الف غرش ولا تظن ان هذا مبالغة لكنه على التحقيق ومن حيث الحجار المبينة منها هذه الكنيسة الرخام والسماقي والصنار والباني والذهب والفضة جميع هذه الاشياء موضوعة في البناء شيء يسكت عنه وغير ذلك من خصوص البدلات والغفارات والتيجان والاواني التي داخلها شيء يساوي كنوزاً كثيرة وايضاً الترتيب الذي بها عجيب.

وفي ٣١ كانون الاول رحلنا الى ورساليا لكي نعيد السلطان والسلطانة والدوفين لاجل السنة الجديدة وبعد ان عيدناهم استقمنا في ورساليه خمسة عشر يوماً وذهبنا الى سان جرمين وعيدنا الاكابر الذين هم حامونا ورجعنا ايضاً الى ورساليه والملكة قد عملت لنا واجباً ومحبة عظيمة (ص ٨٨) واعطانا الملك باطنتا مكلفة ضمنها اننا نشحد كل مملكة فرنسا ولا احد يعارضنا

كلياً من اي مقام كان حاكم او غيره. ثم ان الملكة امرت لنا بحوايج جوخ طيب وبما ان حوايجنا ذلك الوقت كانت جديدة طلبنا منها ان لا تعمل لنا ذلك الوقت الحوايج بل تصبر حتى تعتق حوايجنا تعمل معنا هذا الخير وكان قصدنا ان نبقى بحوايجنا هذه لكي نُعرفَ عند الجميع اننا من غير رهبانية اي من رهبانية الشرق ويحنّوا علينا فحينئذ امرت ان يعمل لكل منا قنبازان جوخ فرنجيان حتى لا يضرّنا البرد ونلبسهما تحت ثيابنا فعملوا ذلك وتكلفت الاربع اربعين غرشاً ولبسناها ودفينا كثيراً لان برد بهريز شديد وصعب.

ثم رجعنا الى بهريز في الكانون الثاني سنة ١٧٥٠ وكملنا شحادة سان سوليبس فما صار لنا منها سوى شيء قليل وبما ان سان سوليبس من اكبر كنائس بهريز كما مر ذكره وحاوية رعية كثيرة واكابر.

اوتيل ديو

ثم دخلنا زرنا الى اوتيل ديو اي المذبح[١] الذي لله وهذا المكان هو بيمارستان للمرضى وهو شيء غريب عن العقل والتصديق من حيث كبره ونظامه وغناه لانه مشتمل على اثني وعشرين رواقاً وكل رواق طوله قدر فرق الامرأة من الرجل[٢] منه سبعة اروقة الى النساء وخمسة عشر للرجال وحين زرناه كان موجوداً به من المرضى اربعة آلاف وثلاثماية وسبعون مريضاً وبه مايتان وسبعون خادماً ومية وثلاثون راهبة من راهبات هذا المكان. الذين ينذرون الفقر والعفة والطاعة وخدمة المرضى اربعة نذوره. ومطبخ هذا البيمارستان يدهش العقل من الخلل والطناجر والصحون واللحوم والمشوي مع الدجاج والفراريج مع الحمام وانواع الطيور واللحوم اشياء كلها مكلفه وبه مطبخ الحكمة قائم بذاته ومكان للانابيق العجيبة وحده وبه مخزن آلة الحكمة به السكر براميل مثل مخازن الافرنج والترياق في البراميل ومعجون الياقوت والقرمز وبقية (ص ٨٩) الادوية المكلفة جميعها في بواطئ الفضة مثل بواطئ السمان والشرابات في جرار مثل الخوابي والسفوفات المكلفة اشياء تأخذ العقل وعلى ما اخبرونا ان هذا البيمارستان كل يوم يتكلف عشرة كياس دراهم فهذا مصروفه المعلوم لانه يشبه مدينة وترى داخله كتب بازجيه ومعلمين ومامورين

---

١) المذبح تعريب autel والصواب منزل hôtel .

٢) كذا في المخطوط وقد سقطت منه العبارة الدالة على قياس الطول .

وكل ما يلزم الى المرضى موجود وبه الغني والفقير شيء واحد علاجهم وتدبيرهم وكلما يلزم الغني مثله يعمل للفقير .

ثم في ٢٢ كانون ثاني شحدنا كنيسة مار برتلماوس وفي اول شباط شحدنا كنيسة مار بطرس « لكناه البقر (؟) » ويوم ٢ شباط انعزمنا عند رهبان بنديكتين اسمهم بلان منطو Blancs-manteaux وكنا قد مضينا الى عندهم ثلاث مرات فيوم عيد دخول المسيح للهيكل مضينا نشحد داخل الكنيسة فقالوا لنا ان ما نريدكم تشحدون داخل الكنيسة وان اردتم تشحدون قفوا بباب الكنيسة فلا زلنا نتدخل ونترامى حتى قدرنا نشحد داخل الكنيسة ثم في ١٠ شباط شحدنا عند الاباء الاراطوار Oratoire وهذه الكنيسة ما هي كنيسة رعية بل اخوية مثل رهبنة الا انها مكلفة كثيرًا وفي ١٣ شباط شحدنا كنيسة مار روكس لانه كان عيد جراحات يسوع .

وفي ١٥ شحدنا كنيسة مار بطرس التي في الجزيرة داخل نهر بهريز الجاري من نصف البلد وينقسم هذا النهر عند هذه الكنيسة الى فرقتين وفي الوسط شكل جزيرة كبيرة قدر ضيعة كبيرة . القول عن نهر بهريز اسمُ هذا النهر السين La Seine — وقدره قدر نهر الفرات وصاير خير عظيم من هذا النهر الى بهريز وفرنسا لانه يجلب من هذا النهر ساير ذخيرة بهريز وغيرها من حطب وحنطة وفواكي وغيره الى ساير فرنسا الى بهريز (ص ٩٠) تأتي من هذا النهر والشختاتير لم تزل سالكة به دائمًا ومثل البحر . وفي ١٩ شباط مضينا الى عند واحد اكابر من اصحاب مقاطعات بهريز وهو غني جدًا ورأينا يومها جايئة لعنده عربانةً يجر بها ستة رؤوس خيل وهي محمّلة ذهب وفضة ومعاملة بالجهد حتى قدروا يجذبون العربانه الى داخل بيته وجميع هذه الدراهم معباية في براميل وقد فتح امامنا برميلاً واحدًا فرأيناه ملانًا اكياساً فسألنا كم داخل هذا البرميل فقيل لنا مائة وخمسون كيساً بحسابها وكان هذا البرميل اصغر البراميل وعلى ما خمنت ان ذلك اليوم وصله اكثر من الف وخمسماية كيس على تلك العربانة وتغديناه عنده على مايدة يمكن مكلفة اكثر من خمسين غرشاً واعطانا بعد الغداء حسنة اثني عشر غرشاً وبعده تعرفنا مع بعض اكابر بهريز واضافونا عندهم مرارًا عديدة وصار لنا منهم حسنة كم ماية غرش .

وفي ٢٣ منه شحدنا كنيسة المجدلية في زقاق سانت اندره وهي كنيسة

رعية وفي اول اذار شحدنا كنيسة المخلص وهي ايضاً مثل الاولى وفي ١١ اذار شحدنا كنيسة دير مار يعقوب في ١٧ منه كنيسة مار يوحنا وخوري هذه الكنيسة اتعبنا كثيراً الى ان رضي نشحد عنده فقط الكنيسة من غير بيوت وكثير من الخوارنة عاملونا هذه المعاملة وكل احد كنا نشحد كنيسة وعدلنا عن ذكر كل واحده وغناها وبدوها وذهب والفضة والاحجار الكريمة والبدلات السكب من ذهب وفضة واشكال والاوان وفي بعض الاماكن رأينا شعاعات للقربان المقدس كل شعاع يساوي عشرة آلاف واكثر من حيث الالماس واللؤلؤ وغيره .

وفي يوم عيد القيامة شحدنا كنيسة سان موطاش Saint-Eustache وكان ذلك (ص ٩١) اليوم صمد المذبح الوسطاني المكلف نحو من مايتي كيس دراهم وفي هذه الكنيسة شعاع لزياح القربان المقدس ما يمكن يثمن لانه حاوي على خزاين مال من حيث الالماس والجواهر واللؤلؤ والياقوت شيء يكل عن وصفه اللسان ويقصر عن ادراكه الجنان واستقمنا من العيد الكبير الى عيد الجسد نشحد كل جمعة كنيسة .

زياح عيد الجسد في بهريز

وفي يوم عيد الجسد حضرنا الزياح في كنيسة سان سولبيس هذا الزياح الذي يدهش العقل لان طول الزياح قدر ثلاث ساعات ويتقدم هذا الزياح جوق لاوند بيديهم الحراب والبنادق لاجل تمهيد الطريق امام الزياح ويخلفه طبلان باز من النحاس كل واحد بقدر حلة كبيرة والذي يدق على هذه الطبول يدق بصناعة وخفية وحوله اربعة انفار تدق باربعة طرنبيتات قوي دق مرتب وخلف هذه الانفار بيرق زيارة العذراء مع الاخوية مع الرجال العابدين قدر الفي واحد ماشيين كل صف ثمانية برتبة وبعدهم النساء والبنات العابدات وهم ايضاً على نسق الاوليات مقدار الفين وبعدهم بيرق اخوية القربان المقدس وتابع هذا البيرق اخويته قدر الفين وبعد هؤلاء سنجق وعليه صورة مزركشة بالذهب وتابع هذا الصنجق الرهبان الذين هم من اخويات المذكورين وجميع الرجال والنساء والرهبان كل واحد بيده شمعه مضيئة ومعها باقة زهر كبيرة وبعده من بيرق الدارسين لان هذه الكنيسة لها مدرستان كبيرتان وكل واحدة تحوي اكثر من ستماية نفر ويخلف هذا البيرق اولاد المدارس بالرتبة (ص ٩٢) الاصغر وبعده

الاكبر والجميع بكتونات بيض مكلفة وفي ايديهم الشمع وبعدهم الكهنة اثنان اثنان بالبدلات والغفارات المكلفة جداً وقد احصينا عدة اللابسين البدلات والغفارات فكانوا مايتين وست وثلاثين بدلة وغفارة التي كل واحدة لا تنحمل من ثقل الذهب والفضة والزركش وبين صفوف هؤلاء الكهنة الاولاد الصغار الشمامسة لابسون الكتونات البيض كل اربعة حاملون طبق زهر وهو مجلل بقماش مكلف ومزين بالماس وداخله الزهور ياسمين وورد ونسرين وغير زهور يرجمون بها القربان المقدس طول الطريق وكلما مرّوا على بيت من الاكابر يطالعون لهم زهوراً مفروطة في صحون فضة ويفرغونها في تلك الاقفاص وبعد هؤلاء من اثنا عشر مطرانا لابسين حلة الخبروية وفي الوسط كردينال شاب وقوي كسم ظريف لابس لبس الكردينالية وحاملون فاضل ثوبه اثنا عشر شماساً لان فاضل الثوب قدر حارة طويلة وهم لابسون كتونات بيض مثل الثلج ومزنرون بزنانير حرير كل زنار عرض فتر لون احمر واطرافه مرخية الى الارض وبشرابات القصب وفي ايديهم مباخر وخلفهم ايضاً مثلهم اثنا عشر شماساً وكتونات بيض وزنانير حرير ازرق ايضاً وفي يد كل واحد مبخرة واثنتان ذهب واثنتان فضة وعدة الاثني عشر لكن كل مبخرة قدر جرة ماء وطول جنازير المباخر نحو ذراعين وبعدهم اثنا عشر بكتونات وزنانيرهم صفر وفي ايديهم علب البخور اثنتان ذهب واثنتان فضة . اثنا عشر واحدة . واثنا عشر شماساً اصغر من هؤلاء في ايديهم اطباق الزهر ملآنات وكلما فرغ طبق يعبونه من الاقفاص المذكورة (ص ٩٣) وبعد هؤلاء آلات الطرب الموسيقى السلطانية مركبة من طرنبيتات وزمور وشبابات وكمنجات وقرون وحيات اشكال واجناس وطبلين باز مثل الاولين مع غير الات ملوكية وكل ارباب الآلات من اللابسين اثواب مغطسة بالذهب والفضة ما ظهر من اثوابهم ولا خيط حرير واثنا عشر نفر حاملون خيمة القربان المقدس وتحت الخيمة الخوري ومعه عن يمينه وشماله اربعة انفار بكتونات مكلفات والخوري حامل ذيل الشعاع الذي ثقله يمكن عشرون رطلاً وعليه الحجار الثمينة والجواهر والالماس واللؤلؤ شيء لا يُحصى وحوله فنوز الشمع الكافور مثل الغاب القصب ودار ما يدور الزياح اللاوند بالبندق ـ وخلف الخيمة قدر خمسين لاونداً معارضين تفنكهم شبه درابزون لكي لا احد يزحم الخيمة وخلفهم البشر مثل التراب المرافقين الزياح والتراتيل مع صوت الآلات شيء لذيذ جداً تراتيل ملوكية تسمع الكهنة ترتيلاً وبعدهم الرجال وبعدهم تبتدئ

النساء تراتيل ملائكية وحين تزعق هذه الالوف ترى الارض ترتج من الهيبة العظيمة وما يظن الانسان ذاتــه الا في السماء وكل كم خطوة ترى معلم السريمونية céré moniaire في يده شكل كتاب من دف معمول بصنعة يفتحه ويغلقه يطلع له صوت مثل صوت البندقية يدق فيه اول دقة يلتفت حالاً اهل المباخر والزهر ثم يدق ثاني دقة ينحنون كلهم جملةً امام القربان المقدس ثالث دقة يبخرون كلهم جملة كمن فرد مبخرة واهل الزهور يرجمون بالزهر مع التبخير كلهم سوى وكل زقاق يمر به الزياح مصمود في ذلك الزقاق مذبح مكلف يعلوه الخوري ويعمل هناك صلاة وبخوراً (ص ٩٤) وبركة ويمضي الزياح كما كان وما لي احكي عن شكل هذا الزياح الملوكي بل الملائكيّ لاني عاجز عن وصفه كما يجب فليفهم القارئ قليلاً من كثير لانه شيء عجيب .

زياح عيد الجسد في ورساليه

ثم بعد عيد القربان المقدس رحلنا الى ورساليه في ٢٨ ايار لكي نواجه السلطانة ونشكر فضلها لانها سألت عنا كم مرة وقد كانت ارسلت امراً الى حاكم بهريز انه يرد لنا باطنتا السلطان التي كان اخذها منا كما مرّ القول وفي وصولنا الى ورساليه عند اب من كهنة السيدة التي بورساليه وقد عملوا لنا واجباً كثيراً واعطونا اوضتين مفروشتين وهناك حضرنا زياح آخر يوم عيد الجسد وهو زياح يرحل اليه من حيث النظام والكلفة والبدلات والغفارات التي لا تتخمن لانه من سراية السلطان خرج اربعة حمالين وكل اثنين حاملين تختاً وفوقه عشر بدلات وغفارات كبار ما يمكن ان تنطوي لاجل قماشها الذي هو فرد شقفة من الذهب والفضة والاحجار وغيره ولبست الكهنة هذه البدلات وخرجوا للزياح وكان سلطان فرنسة والسلطانة والعائلة ونساء الاكابر جميعهم ماشين خلف القربان المقدس بكل خشوع وورع الذي يدهش العقل وبعده الطبول والزمور وسائر آلات الموسيقى اشياء غريبة وعجيبة تطرب خلفهم وقدامهم ونظام اعظم من نظام بهريز وجميع زقاقات ورساليه مزينة بالبردايات المكلفة حتى كل منها تسوى الف غرش واكثر وكل زقاق به مذبح مصمود صمداً مكلفاً جداً لاجل البركة وكل مذبح يمكن اربعة قناطير ذهب وفضة اشياء عجيبة لان هذه الهياكل مصمودة من قبل السلطان والثريات والقناديل والشماعدين والقطع شيء لا يحصى لان كل قطعة (ص ٩٥) فضة قدر خابية وكلها معمولة بصنعة

تدهش العقل واكثر من الف لاوند باخراب والبندق والسيوف والرماح حاوطين بالرياح والنتيجة الحكي ليس مثل النظر .

خزنة جواهر السلطان

وفي ٢ حزيران ارسلت الملكة امرتنا نذهب لعند خزندارة الجواهر التي تخص السلطان والعيلة لكي نتفرج على قطع الجواهر الموجودة فمضينا لعندها فرأينا شيئاً لا يُحصى ولا يقدر بقلم فرأينا هناك صناديق مقفلة وشيئاً يدهش وداخلهم كل قطعة الماس قدر جوزة صغيرة وعددهم يمكن قدر خمساية حجر الماس كريم ولؤلؤ كل لؤلؤة قدر بندقة وقدر الحمص شيء كثير ياقوت مثل الجوز الوزن واشكال كثيرة زمرد ولعل شيء ياخذ النظر وجميعه منظوم شكل زهور وزرار لاجل بدلات السلطان والسلطانة والدولتين والعيلة جميعهم وهكذا عاملوهم بنظام حتى اذا لبس المذكورون هذه البدلات يكفي أن يبيقي (كذا) جميعهم قطعة الماس وحجار كريمة مثل زمرد وياقوت ولؤلؤ وغيره .

وبعد ان نظرنا هذه الكنوز جميعها اخرجوا صندوقاً صغيراً من الذهب وداخله صندوق مثله وداخلهم مخمل ففتحوه فرأينا داخله الماسه حجر اسمها نجمة انكليترة قدر جوزة كبيرة وقد نقب كانها كوكب دري وحقاً انها فريدة الدنيا ليس لها مثيل ولا شبيه وقالوا لنا ان كل مرة تسقط هذه الحجر من علو ذراع على الارض يسقط من ثمنها ستماية واثنان وستون كيس دراهم هذا ما قدره الجوهرجية الحذق انظر كم يسقط من ثمنها هذا المبلغ لاجل خسارة نورها وماها وبعد ان تفرجنا انبهرت اعيننا قالوا لنا ان لا يوجد بين جميع هذه (ص ٩٦) ولا واحدة بتساوي اقل من ماية الف غرش ثم اعطونا كراء فرجتنا واحد ذهب بثمانية غروش وخرجنا واستقمت يومين رأسي يوجعني وعيني مثل الاجهر من لمع تلك الاحجار .

وفي ٣ حزيران ارسلت مدامه شطلين Chatelaine ثانية مصاحبجية السلطانة وفرجتنا على خاتم داخله ساعة بندول Pendule مكلفة وكل ثمانية ايام تتركب مرة واحدة وقدر الحجر التي تحتها الساعة قدر مضرّبة وسمك الحجر سمك حجر خاتم ياقوت الدارجه وفتحت لنا هذا الخاتم وفرجتنا على دواليب هذه الساعة التي داخله وعلى تلك الساعة التي تدهش العقل وعلى الجنزير الكريش وقالت لنا ان كل ثمانية ايام تركبه مرة واحدة وفي

شغل هذه الثمانية ايام يفرق دقيقتين ام ثلاث واسم المعلم الذي يشتغل هذه الساعة جان باطشتا ساعاتي السلطان فرحنا لعند هذا الساعاتي وابصرنا ساعات اشكال عدة وكل ساعة خمساية وثمناية والف غرش وما فيهم لا احجار ولا جواهر ابداً سوى انه اشغال بصنعه عجيبة من الذهب والفضة وقال لنا ان كل سنة يرسل من شغله عدة ساعات الى كافة الممالك حتى الى بلاد الانكليز وسلطان الانكليز ذاته ناقل من شغلي وارباب دولته جميعهم ناقلون من شغلي .

وفي ٤ حزيران ارسلت ورانا في طلبنا السلطانة في الساعة الرابعة بعد الظهر فضينا الى عندها ودخلنا الى مخدعها الذي تجلس فيه وحدها فسلمنا على جلالتها وعملت لنا الخضوع اللايق الى عظمتها بكل محبة مسيحية تليق بها واستقمنا عندها قدر ثلاثة ارباع ساعة وهي تسألنا عن رهبنتنا ورهباننا وعن احوال البلاد وعن اكلنا وشربنا وعيشتنا وبعد ذلك طلبت مني ان اشركها في شركية الرهبنة التي هي شركية مار انطانيوس فحالاً كان موجود معي ورقة شركية فاخرجتها فاظهرت علامات الفرح كتبت اسمها بالعربي في تلك (ص ٩٧) الورقة وهي كتبت اسمها بالفرنجي بيدها وامرت بان يعملوا لتلك الورقة برواز مكللاً وفوقه بلور وعلقتها فوق مرقدها وقبل ان تشترك سألتني هل الذي يشترك بهذه الاخوية اذا ترك شرطاً من شروطها يخطئ خطأً مميتاً ام عرضياً فقلت لها ان عندنا بهذه الشركية ما في شيء تحت خطيئة ولا عرضية سوى الاشياء التي تصير بنوع الاحتقار فتلك الاشياء خطيئة ففرحت بذلك جداً واعطتنا ماية ثلث جسنة .

بستان السلطان في بهريز

وفي ٥ منه سافرت الملكة الى كمبانيه ونحن اليوم السادس سافرنا الى بهريز وبعض من جليسات الملكة اعطونا مكاتيب لكي يفرجونا على بعض اشياء في بهريز تخص الملك وهي هذه بستان السلطان في بهريز وفيه من جميع الاشجار الموجوده بالدنيا غرباً وشرقاً وفي الهند ورأينا اشجاراً غريبة عن العقل مثلما تكون تصنع منها صغار وكبار وفيها مثل بغير ورق وهم كسم غير شكل وعلوهم وكبرهم والاشجار الموجودة في البلدان الحارة ومعلوم ان بهريز باردة ولا يمكن تعيش هذه الاشجار هناك جعلوا لها شكل افران حولها ويوقدون بها النار ليلاً ونهاراً وجميعها محاطة بيلور شكل بيوت كبار

من البلور والنتيجة شيء يدهش العقل وداخل هذا البستان بيوت شكل قاعات كبار وداخل هذه الاماكن من ساير الحيوانات المائية والبرية كل حيوان بحاله من سباع ولبوّات ونموره ودب وسعدان واريل وفيل وكركاهند وغير حيوانات ما عرفنا اساميها اشياء غريبة عجيبة وايضاً من جميع الافاعي كل افعى طولها ينوف عن عشرين ذراعاً وغلظها قدر خابية صغيرة وغير افاعي وحيات مشكلة من كل الاشكال الموجودة في ساير الدنيا وايضاً خلقة بشر مختلفة منهم بشر برأسين وغيرهم اربع ايدي وغيرهم ثم بطنان وغير عجائب وجميع الذين ذكرناهم موضوعون في روح النبيذ داخل البلور لتجف لكي لا تفسد وابداً تراها كلها كانها احياء ومتحركة ورأينا بعض اعضاء من اعضاء الرجال الجبابرة كل ساق رجل عظمها مثل عظم الفيل الكبير ورأينا (ص ٩٨) من كافة الاحجار المعدنية ومن البازهرات وانواعها ومن كافة انواع واجناس الاصداف البحرية والنهرية العجيبة الخلقة وجميع الاشياء قد تنظرها بصف عجيب وكل شيء مكتوب عليه اسمه ورأينا اعضاء الانسان كلها كما هي لكي يرى الناظر العقل والدماغ كما هو وقوة الذكر وغيره وان اخذنا نشرح عن الاشياء العجيبة الموجودة بهذا المكان لا يقدر احد ان يصفه وايضاً خارج هذا البستان مخادع وبها الصور والشخوصة الملوكية الذي كل شخص وصورة يساوي خزنة مال ثم المكان الذي يشتغلون فيه الطنافس الملوكية الذي كل ذراع منه يساوي خمساية غرش لانه لا يمكن المصوّر الحاذق يقدر يصور مثل هذا الشغل وكله من الصوف والحرير وفي مكان من هذا المكان موجود اربع وعشرون صورة صور ملكات فرنسا وملوكها هذا عظم مقدار هذه الصور حتى يأتي (زوار) من سائر الممالك لكي ينظروا هذه الصور الفريدات لانهم ما يمكن احد يفرقهم عن حال كونهم وهم احياء.

وماذا احكي عن جرس كنيسة مطران بهريز الذي ثقله خمسة وسبعين قنطاراً حلبياً وموجود اجراس كثيرة في بهريز ثقلها اربعون وخمسون قنطاراً لان ولا كنيسة الا موجود بها عشرة اجراس واكثر واقل لان في ساير الدنيا لا يتوجد احد يدق الاجراس مثل مدينة بهريز فرنسا بعدها لانك اذ سمعت الاجراس تظن ان ارغن عمال يدق لا فرق. . . . .

(له صلة)

تعريف عن الكتب

الديارات

لابي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي . تحقيق كوركيس عواد

الطبعة الثانية ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م ، ٤٢٠ صفحة

الادب العربي غني بالمراجع عن الديارات والحياة الرهبانية . فهنالك ادباء ومؤرخون تركوا لنا في آثارهم وصف بعض الديارات . فحددوا موقعها . وتغنوا بها . ودوّنوا بعض احداثها ، وكتبوا عن رهبانها وراهباتها . لذلك تعتبر المراجع العربية ذا اهمية بالغة لتأريخ ديارات الشرق والحياة الرهبانية فيه : لا تقل قيمة عن سائر المراجع الشرقية . فقليلون هم الذين استندوا الى المراجع العربية في كتاباتهم عن الديارات والحياة الرهبانية : وكثيرون هم الذين انكروا ما لهذه الديارات من فضل على الحضارة العربية .

فها الاستاذ كوركيس عواد . المعروف في عالم الابحاث والمخطوطات ، يضع بين ايدينا كتاباً قيماً عن بعض « الديارات » في العالم العربي « للشابشتي » ، « صاحب خزانة كتب العزيز بن المعز بمصر والمتولي عرضها » ، « والذي توفي في مطلع القرن الحادي عشر للمسيح (؟) .

هذا الكتاب نشره عواد اولاً في بغداد سنة ١٩٥١ ، ثم اعاد طبعه اليوم منقحاً ، مصححاً ومزيداً عليه . وقد استند الناشر في عمله الى مخطوطة خزانة برلين رقم ٨٣٢١ .

ففي المقدمة يروي لنا الناشر كيف وجد المخطوطة ، فيصفها وصفاً دقيقاً ، ثم يكلمنا على منزلة الكتاب البلدانية والتاريخية والادبية ، وما نُشر من فصوله ، وكيف حقق الكتاب . وينتقل بعد ذلك الى الحديث عن المؤلف ، فيبحث عن اصله وحياته ومؤلفاته وتاريخ وفاته . وبعد ذلك يقدم لنا بحثاً مقتضباً عن الكتب العربية القديمة الباحثة في الديارات ، فيعددها ويصفها الى ان ينتقل الى وصف الدير وما يشتمل عليه ، وذلك من خلال مطالعته للمخطوطة . ثم يأتي النص مع التعاليق الغنية .

المخطوطة مبتورة من اولها . الا انها تقدم لنا وصف ثلاثة وخمسين ديراً الآتي ذكرهم : دير مديان — دير اشموني — دير سابر — دير قوطا — دير

مرجرجس — دير باشهر — دير الخوات — دير العلث — دير العذارى — دير السوسي — دير مرمار — دير مار يحنا — دير صباعي — دير الاعلى — دير يونس بن متى — دير الشياطين — عمر الزعفران — عمر احويشا — دير فيق — دير الطور — دير البخت — دير زكى — دير مار سرجيس — دير ابن مزعوق — دير سرجس — ديارات الاساقف — قبة الشتيق — دير هند — دير زرارة — عمر مريونان — دير قنى — عمر كسكر — دير القصير — دير مرحنا — دير نبيا — دير طمويه — دير الخنافس — دير الكلب — دير القيارة — دير برقوما — دير باطا — دير مار شمعون — دير العجاج — دير الجودي — كنيسة الطور — بيعة ابي هور — دير يخنس — بيعة اتريب — دير نبواحي اخميم .

وهذه الديارات موزعة كما يلي : العراق ٣٧ ديراً ، الشام ٣ . مصر ٩ . الجزيرة ٤ .

وبعد النص يضع الناشر ذيولاً لكتابه فيشرح لنا «من نقل عن الشابشتي من الاقدمين» ؟ ويبحث عن «الديارات في المراجع العربية» وعن بعض ما ضاع منها وغير ذلك . فيفوت الناشر بعض التفاصيل والاطلاع العميق على هذه المواضيع التي تشغل بال مؤرخي الديارات والحياة النسكية . كما يجد القارئ في آخر الكتاب فهارس علمية عديدة . تساعده على الوصول الى ما يبتغيه بسرعة ودقة .

كوركيس عواد يستحق شكر العاملين في حقل التاريخ النسكي على مجهوده في التنقيب والبحث والتدقيق في نشر هذا الكتاب القيم . ومن حقنا ان ننتظر منه الكثير الكثير من الابحاث عن الديارات في المراجع العربية لانه خير من يرجى منه في هذا الحقل .

الاب انطوان ضو الانطوني

تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني

بقلم عيسى اسكندر المعلوف

المطبعة الكاثوليكية — بيروت — ١٩٦٦

هذا الكتاب طبعة ثانية لتاريخ رجل الدولة الذي ساهم في استقلال لبنان ولقد حوى مستندات ووثائق واستدراكات ما يجعله ضرورياً لكل

من يهتم بتاريخ تلك الحقبة الصعبة التي عاش فيها الأمير. والاستدراكات هي من ناشر هذه الطبعة الثانية الشاعر الأديب رياض المعلوف وقد كان وعاها المؤلف نفسه.

وانّا لنشكر للناشر همّته في اعادة هذه الطبعة لما فيها من خدمة للتاريخ.

أ. ع. خ.

تاريخ نفس للقديسة تريزيا الطفل يسوع

نقله الى العربية الخوري شكر الله نصّار

منشورات المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٦٧ – ٢٥٨ صفحة

في مجموعة «التراث الروحي» تنشر المطبعة الكاثوليكية كتباً لها في تاريخ الروحيات قيمة لا تردّ. وها هي اليوم تعطينا تلك الذكريات لقديسة الامل والثقة التي كتبتها وهي تنظر الى المثال الالهي وقد جليتها نعمته الغزيرة لأمانة لا توصف. وهذا المؤلّف قد عمل عمله في الحقبة الأخيرة من الزمن بأن ظهر في وقت كثرت فيه الاكتشافات وازدهرت فيه العلوم؛ تدعونا فيه المؤلفة الى الثقة بالله والعبور عن العقل والانكماش على الذات.

فأتت الترجمة بسيطة تعبّر أحسن تعبير عن البساطة التي وضعتها المؤلفة في كتابها فطابق المبنى على المعنى وفي هذا نجاح.

يطلب الكتاب من المكتبة الشرقية. ساحة النجمة بيروت.

أ. ع. خ.

روبير كلود: نداء الأبطال

تعريب جرجس القس موسى

منشورات المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٦٧ – ١٥٤ صفحة

هي حياة يصوّرها المؤلف في ثمانية فصول من خلال تحليل نفسانية انسانيّة تجابه الصعوبات والمشاكل وحلولا لا تكتفي بها عادةً. فيأتي المؤلف على ذكر ذلك العراك بين الظلمة والنور وعلى تحديد البحث وعلى تبجيل القلوب البسيطة. ثم يذكر الشبيبة الطالبة المسيحية وما إليها من عواطف ومن بطولات ومن حياة جديدة في العراك والمناضلة في النعمة.

يستفيد الإنسان من قراءة هذا الكتاب اذ يجد فيه روحاً عميقة وتوجيهاً سديداً وعقيدةً متينة ولغةً سلسة تساعده على المرور من فصل الى آخر براحة تترك له فرصة للتفكير والتأمل. واني لمتأكد من ان كتباً كهذه تعطي الشاب الطالب اندفاعاً للسير الحثيث وراء المثل العليا والقيم الروحية.

يطلب من المكتبة الشرقية — ساحة النجمة — بيروت.

ا. ع. خ.

فتاوي لاهوتية

الاب نعمة الله مطر

منشورات جامعة الروح القدس — الكسليك — لبنان ١٩٦٦ — ٣٥٢ صفحة

عرفنا المؤلف في رصانته واتّزانه وعلمه وسعة اطّلاعه وكياسة معشره. ونجد في كتابه هذا صفات العلم والتنقيب والسهر على تدريب العقول تدريباً صحيحاً مسنوداً الى ائمة علم اللاهوت الأدبي وإلى نظرة وضعية إلى حياة الانسان. فمن المبادئ إلى تطبيقها حسب نفسانية الوضع بالذات الذي يعيشه الانسان إلى متطلبات الضمير والحرية الإنسانية إلى آفاق العمل التي تجمع الانسان بأخيه الإنسان يمرّ المؤلف بحكمة ودراية وبمقدرة الذي ألمّ بالمبادئ وبالحياة ومشاكلها فاعطى كلاً منها ما يعود له في المعترك الذي يُحييه الضمير.

لقد اعطى المؤلف فتاوى عن الافعال البشرية والشريعة والضمير والخطايا والوصايا والاسرار فاتت مقتضبة على عمق.

ا. ع. خ.

كتاب الوزراء والكتّاب

بقلم محمد بن عبدوس الجهشياري

جمع نصوص ضائعة منه ميخائيل عوّاد

دار الكتاب اللبناني — بيروت ١٩٦٥ — ١١٨ صفحة

هواية العالم المنقّب أن يُفتّش عمّا ضاع من الوثائق ليُظهرها للوجود ويستخلص منها ما كان غائباً عن الدروس العلمية. ولقد اتحفنا الناشر

بنصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب وتساءل في مقدمته عن قيمة الكتاب العلمية بعد ان وضع المؤلف في إطار التاريخ وقابله بالطبري. وكان في سنة ١٩٤٨ قد اعطانا الاقسام الضائعة من كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء.

ومما يجعل هذا المؤلف في متناول القارئ الفهارس السبعة التي أختتم الناشر بكتابه هذا أثبت فيها أسماء الأشخاص والامم والامكنة والالفاظ الدخيلة والمعربة والكتب والمراجع والآيات القرآنية والقوافي.

ا. ع. خ.

الأب انستاس ماري الكرملي — حياته ومؤلفاته (١٨٦٦—١٩٤٧)

بقلم كوركيس عواد

مطبعة العاني — بغداد — ١٩٦٦ — ٣٠٢ صفحة

قسم المؤلف كتابه هذا إلى ثلاثة أقسام. تكلم في القسم الاول عن الأب انستاس وحياته وصلاته بعلماء عصره ومكتبته وأعطى البرهان الحقيقي عن الدور الذي كان يلعبه في بيئته. ولقد طار صيته كلغوي ومؤرخ فكان له اصحاب وأخصام. ولقد اهتم طوال حياته بالتأليف وجمع الكتب في مكتبة هي وسيلة للشغل والتنقيب.

اعطانا المؤلف في القسم الثاني من كتابه ثبتاً واضحاً وكاملاً لكتب الاب انستاس المطبوعة والمخطوطة وعددها في حدّ الالف والاربعمائة بين مقال وكتاب. وفي القسم الأخير جمع المؤلف في فهارس الكتاب الهجائية كل ما سبق حسب ترتيب هجائي ان لموضوعات الكتب والمقالات والنبذ وان للاشخاص الواردة أسماؤهم في تضاعيف الكتاب.

حياة الأب أنستاس تجاوزت الثمانين وكانت مليئة شغلاً وانتاجاً. يعطينا المؤلف في السطور التي كتبها عنه شيئاً من روحه وتعلقه بالادب والادباء ومن شواعره أمام رجل أحبه فأعطاه قسطه من عرفان الجميل.

ا. ع. خ.

كتاب المجموع في المحيط بالتكليف

بقلم ابي الحسن عبد الجبار بن احمد المعتزلي

صحّحه ونشره الاب جين يوسف هوبن اليسوعي

الجزء الاول ، مجموعة بحوث ودروس – المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٦٥ – ٤٥٣ صفحة

لقد اعتنى الناشر بجمع المخطوطات والتعمّق في القراءات الصحيحة ولم يكن دائماً من السهل ان يختار ما يُعطي المعنى المطابق لشامل النصل. ولكنه سار في طريقه . عارفاً قيمة المخطوط الذي بين يديه للاطلاع على علم الكلام وبعض الايضاحات التي هو بحاجة اليها لكي يعبّر عن مشاكل الالهيات والجدليات حسب العصر الذي عاش فيه المؤلف او حسب انتمائه الى مدرسة من المدارس المنتشرة في عصره والتي كانت تلحّ على هذا او ذاك من المبادئ الأساسيّة .

كانت المخطوطات للمعتزلة نادرة الوجود إلى ان اكتشفت في الآونة الاخيرة بعض مجموعاتها وهذا الكتاب المنشور هنا هو من أعظم ما وصل الينا منها . وقد تناول البحث فيه الكلام في التوحيد . في الصفات . في العدل . في الأفعال ، في الإرادة ، في القرآن ، في التوليد .

يدرس الناشر في مقدمته صلة هذا المخطوط بمخطوط « المغني » ويتوصّل إلى القول إن لا صلة بين الإثنين وقد قابل ما ظهر في الثاني مع ما كان بين يديه من نسخ للاوّل .

هذا وما يدلّ على قيمة هذه النشرة ان الناشر توصّل الى مقابلة اربع نسخ موجودة في المكتبة الوطنيّة في القاهرة وفي توبينجن وفي اليمن واخيراً ما يسمّيه بالمخطوط الروماني .

ا . ع . خ .

على خطى المسيح – رياضة روحيّة – مع ملحق خاصّ بالكهنة

بقلم الأب بولس الياس اليسوعي

منشورات المطبعة الكاثوليكية – توزيع المكتبة الشرقية – بيروت ١٩٦٧ ، ٣٨٢ × ١٤٧ صفحة

تقرأ ولا تملّ . فمع سعة الاطلاع وثقابة النظر تجد من خلال السطور اختباراً روحياً يحملك على التفكير والسير على الطريق التي تخطاها المؤلف في معاشرته المسيح الاله وفي معاشرة المفكّرين والصوفيين الذين يذكر .

فتتقلب معه في درجات النسك والحياة الباطنية مبتدياً رويداً رويداً الى ايمان حيّ اساسه المسيح وعماده المسيح وغايته المسيح في عالم تراكمت فيه المادية الالحادية وظهرت من خلاله معاداة لكل ما هو روحي يتطلع الى ما وراء الأرض إلى الذي خلق ويساند الخليقة في طريقها الى الغاية.

وفي صفحات هذين الكتابين اللّذين ضمّا نخبة من النصوص والمآخذ القيّمة يجد القارئ حلولاً روحيّة لمشاكل الحياة التي يعيشها وهو. إذا وقف واستوقف وانتبه إلى الصراخ الذي يصعد من الأعماق. دوماً في أمان من انزلاق الطريق إذ يعود إلى الباطن حيث الله يتكلم.

ونحن في أيام كثر فيها اصطراع المادة والروح: وكأني بالمادة تفوز ولكن لوقت، في ايام زاد الاصطخاب من كلّ صوب وجهة يحلو للانسان ان يقرأ هذه الصفحات العديدة الملأى بما يعيد اليه سلامه وصدق التوجيه وحقيقة النظر إلى المصير.

وإن في الأسلوب والإخراج اللّذين استعملها المؤلف في كتابه هذا ما يساعد القارئ على متابعة القراءة والتأمل والتفكير دون عناء سوى عناء العودة الى الداخل وفيه حياة وتجديد حياة.

ا. ع. خ.

تاريخ الرهبانية اللبنانية بفرعيها الحلبي واللبناني – الجزء الرابع والجزء الخامس

بقلم الأب بطرس فهد

مطابع الكريم الحديثة – جونية – لبنان ١٩٦٧

في هذين المجلدين من تاريخ الرهبانية اللبنانية بفرعيها الحلبي واللبناني يواصل المؤلف جمع ما تمكن من النصوص والوثائق التي تنير طريقه في درس الميزات التي تميّز بها كلّ من الفرعين في الرهبانية اللبنانية. والمجلدان هذان يتصفان بصدق الرواية وسعة الاطلاع ومنطق السياق ويجد القارئ فيهما ما يوضح له الامور العديدة لا عن الرهبانية نفسها فحسب بل عن البيئة الإنسانية لتلك الايام. ويستطيع من خلال النصوص العديدة المذكورة أن يستخلص تاريخاً لتطور الافكار والعقلية في تلك الايام.

ومن يطالع هذين المجلدين يرى الجهد الذي عاناه المؤلف في استنباط الوثائق الخاصة والعامة لادراجها في «تاريخه». ولا غروَ فان القارئ لا يرى الاّ نصوصاً ووثائق تتتابع وكانه من الحيّن ان يقوم بعمل كهذا مَن

أراد : فأين نحن من التنقيش عن هذه الوثائق ومن ضبطها ومن درسها ومن الوقوف على الأحداث التي تذكر والتي لها صلة بما مضى وأين نحن من تنسيقها لادخالها في تاريخ واسع الأطراف والآفاق .

وإننا لنهنئ المؤلف على الجلد والوعي والدقة التي تميز بها « تاريخه » ونأمل ان يواصل الجهد في خدمة الأدب وفي كشف كنوز التاريخ من بطون السجلات والمكتبات .

يطلب هذا التاريخ من المؤلف — دير مار ضوميط — فيطرون — كسروان .

أ . ع . خ .

الفداء أو الشهيد سعيد عقل

بقلم فاضل سعيد عقل

منشورات « العقل » — مطابع الفني — قرن الشباك ١٩٦٦ . ٢١٩ صفحة

بلهجة المؤمن تكلّم المؤلف على والده الشهيد في سبيل الوطن والمبادئ العلمية واعطى لقلبه الحريّة لإعلان حبّه واكباره لذلك الذي منذ صباه لم يعرف الاّ الغرام بالحرية والشغف بأرض البلاد . فأتى كتابه هذا مشحوناً مع بعض المراجعات . بوثائق عديدة تطلعنا على ايّام سوداء أثارتها الحمية الحقيقية والاندفاع الغالي في سبيل أنبل قضية ، قضية الكرامة .

يُقرأ هذا الكتاب بسهولة والقلب شغف بما سيُذكر ويعايش من مات وذكره حيّ .

أ . ع . خ .

سيَر أرباب الفكر والسّياسة في لبنان

بقلم جورج عارج سعاده

مطابع التلغراف الحديثة — بيروت ١٩٦٦ — ٢٥٤ صفحة

لا بدّ ان في جمع سير ارباب الفكر والسياسة في لبنان خيراً للتاريخ وخدمة للمستقبل . يجد القارئ بعد كل اسم من الأسماء المختارة نبذة تاريخية عن مولد المؤرخ له ، عن الدروس التي قام بها ، عن الوظائف التي شغلها وعن حالته البيتية .

نأخذ على هذا الكتاب ان الترجمة الفرنسية تحوي اغلاطاً كان بامكان المؤلف تحاشيها .

أ . ع . خ .

بيروت في التاريخ

بقلم ابراهيم نعوم كنعان

مطبعة عون – بيروت ١٩٦٧ – ٣٦٨ صفحة

مجموعة وثائق أو حوادث تصلح يوماً لأن تُدمج في تاريخ عاصمة لبنان . هي بعض ما سمعه المؤلف أو عايشه أو قرأه يعود ويسطّره ليُعطي القارئ لا تاريخ بيروت ولكن « بيروت في التاريخ » . وهذا العنوان الذي يزيّن الكتاب لا يُؤدي المطلوب وهو أوسع ممّا تجده في الكتاب من ترتيب ونقص للمعلومات . وربّما لم يرد المؤلّف ذلك . ولهذا نردّد ونقول إن الكتاب الذي نحن بصدده يجمع الكثير دون ان يؤلف بين ما يجمع وهذا لا يُنقصه شيئاً من القيمة التي توخّاها المؤلف . وان ما توخّاه غير ما ندعوه بالتاريخ العلمي . ولكنه يحفظ اموراً بين دفتيه لولاه لضاعت .

ا . ع . خ .

Nada Tomiche : *L'Egypte moderne*, coll. « Que sais-je? », éd. Presses Universitaires de France, Paris 1966, 124 pp.

يقسم المؤلف كتابه الى قسمين يتكلم في الاول منهما على مصر مقاطعة عثمانية ومقاطعة تحت سيطرة بريطانية وينتقل في القسم الثاني الى الكلام على الاستقلال فتغيير الحكم فيها من ملكية الى جمهورية .

في كلا القسمين يتتبّع المؤلّف تطوّر الحوادث ويفسّرها حسب الزمن والمكان ويُعطيها لا قيمة الحادث فحسب بترديد ما صدر ولكنه يرى ابعاد الحادث ومدى تأثيره على غيره في ما خلفه من الحوادث . فيكون هذا الكتاب على حجمه الصغير توصّل إلى إحقاق الطريقة التاريخية الصحيحة في درس تطوير بلد من الاستعمار الى الاستقلال التام مع ما رافق هذا التطوير من بلبلة وسفك دم .

وبعد ذلك لم يتحصر المؤلف في إعطاء ما رآه واجباً لفهم تاريخ مصر الداخلي . فانه الحّ على أن يُعطينا شيئاً عن تفتّح هذه البلاد على جيرانها والمناوشات التي حدثت بينها وبين أولئك الجيران وعن الوضع الاجتماعي والتجديد الزراعي والصناعي .

ا . ع . خ .

G.-H. Bousquet: *L'éthique sexuelle de l'Islam*, coll. « Islam d'hier et d'aujourd'hui, éd. G.-P. Maisonneuve et Larose, Paris 1966, 220 pp.

يدرس المؤلف في هذا الكتاب الأخلاقية الاسلامية ويطرح علينا السؤال في المقدمة التي قدم بها لكتابه هذا فيقول : أهناك اخلاقية في الاسلام . فيضع صلة وطيدة بين الاخلاقية والشريعة ويصير إلى المقابلة بين الشريعة الاسلامية في ما يتعلق بالاخلاقية الاسلامية والاخلاقية المسيحية . ومن هنا ينطلق في درس مقابلة بين الديانتين وبعد ذلك ينتقل إلى الزواج ودور المرأة وإلى حياة الزوجين العاطفية وإلى بعض الامور الدقيقة فيُعطي حسب المذاهب ما يشترط في مواقف زوجية متعدّدة ويعود الى المقابلة مع الشريعة المسيحيّة .

إن هذا الكتاب بما فيه من دقائق يُدخل القارئ في أجواء تفرّد فيها الإسلام بدقّة تتجاوز حدود الدقّة إلى التمسّك المفرط بالشكليّات ممّا يزعج عقلاً لم يتدرّب على هذا .

ولكن قيمة الكتاب في انه خرج من السّرد فقط الى المقابلة . ولكنّنا نشعر عند المؤلف بعض النقد في استعمال كلمات كان يغنى عنها عندما يتكلّم على الكنيسة في تشريعها . ا.ع.خ.

Mario Rossi: *Laïcs pour des temps nouveaux*, préface de M. D. Chenu, o.p., Éd. de l'Épi, 9, rue Ségnier, Paris 1965, 165 pp.

شهادة علماني يسوقها وتحمل الينا اختباره في عالم المتناقضات والقلق ؛ وينيرها بايمان المسيحي المتجدد دوماً بنظرة مستمرّة الى المسيح والى كنيسته. فيكلمنا على اماله وحيرته . فهو لا يكتب هنا عن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ولكنّه يتكلم كرجل اراد ان يعيش ويحيا وقت المجمع روح المجمع وغايته في مكالمة مستمرة بينه وبين الكنيسة . وكتابه هذا هو فحص ضمير جريء ليجد من خلال المواقف العادية والملابسات التقليدية روح التجدّد. فهو يحلّل اسس ايمانه وموقفه في الكنيسة وفي العالم ، وموقف مواطنيه وبوضوح كلّي يعطينا الحسن ولا يغضّ النظر عن السيّئ .

يرى المؤلف علامات الزمن وضرورة الطعام القوي ليغذّي أبناء العصر والذي هو كلمة الله .

علماني يتكلم في الكنيسة كعضو حيّ له ان يقول اختباره وان يصرخ من الاعماق ما يتطلب العصر الحاضر من وعي روحي ومن خدمة أمينة وقوت يستصرخ الضمائر . ا.ع.خ.

CHARLES MOELLER: *L'homme moderne devant le salut*, coll. « Points d'appui », Éd. ouvrières, Paris 1964, 214 pp.

مشكلة المشاكل خلاص الانسان . يسير بين مدّ وجزر ويفتش عن عن معنى حياته وعن معنى موته ..

يعطينا المؤلف في كتاب صغير الحجم ولكنه غزير المادّة ما يحملنا على التفكير من خلال ادباء عصرنا في مشكلة الخلاص . فيعرض في قسم اوّل مقتضيات هذه المشكلة وتحليلها وأصول المبادئ التي تتأصل فيها. وفي قسم ثان يُعطينا أفكار معاصرين انحنوا على القضيّة وعاشوها واختبروها بكل ما فيهم من حيوية وإيمان ، بكل ما فيهم من حيرة وقلق امام تطوير الطريق الذي يسلكون .

في هذه الصفحات الكثير من الثروة الروحية وممّا يحمل القارئ على الانتباه والتفكير . ا.ع.خ.

A. JAGU: *Horizons de la personne*, coll. « Points d'appui », Éd. ouvrières, Paris 1964, 292 pp.

الموضوع واسع الارجاء والآفاق تختلف باختلاف وجهات النظر . ولذا فتعاضد مؤلفون تسعة على كتابة هذه الصفحات بادارة الاستاذ جاكو. فقسموا الكتاب هذا الى اربعة اقسام تناولوا فيها المبادئ الأساسية لدرس نفسانية الشخص الإنساني ، والفلاسفة في تفكيرهم عن الشخص الانساني ، وواقعية الشخص الانساني وتوجيهات تدريبيّة .

في هذه الأقسام الاربعة بحوث تاريخية وفلسفية وروحية جُمعت في تحليل الشخص الإنساني وإعطائه الأبعاد الضرورية التي يقتضيها وجوده الذاتي الاجتماعي .

يصعب تلخيص كل قسم هنا في بعض الكلمات . فبين المؤلفين الذين كتبوا منهم من أعطى حسب تقدّم العلوم والدروس أحسن ما عنده ومنهم من أعادنا بدقّة المنقّب إلى ما قيل في ما مضى لتحقّق مدى التطوير

الذي عاشه الفكر البشري بين اكتشافات علمية خارجية واكتشافات اعماق القلب الانساني وضميره. فأتى تحليل اولئك وهؤلاء متيناً واضحاً.

ا. ع. خ.

J. Scelles-Mille - B. Khelifa: *Les quatrains de Medjdoub le sarcastique, poète maghrébin du 16e s.*, éd. G.-P. Maisonneuve et Larose, Paris 1966.

في فصول خمسة جرّب المؤلّفان أن يُعطيانا درساً شاملاً وافياً عن حياة الشاعر مجذوب ومؤلّفاته. ولقد توسّعا في الفصل الاول في سيرة حياة الشاعر ثم انتقلا الى درس البيئة التاريخية والاجتماعية التي نشأ فيها ثم تطورا الى درس العقيدة التي كان الشاعر يدين بها الى ان اوصلانا الى صفة الشاعر الخلقيّة واتيا في مطافهما هذا الى اعطائنا بعض الشيء عن صلة الشاعر بالنساء.

في هذه الفصول كلّها لم ينثن المؤلّفان عن زيادة الايضاحات التي يحتاج اليها القارئ في التطلّع الى الشاعر الذي هو غاية الدرس. ولقد اخذا بدرسهما المقاطع الطويلة من الشعر التي يرى القارئ من خلالها لساناً لاذعاً وعيناً واعية ساهرة ونقداً وضعياً.

يتوصّل القارئ إذ ذاك الى التمنّي على المؤلفين ان يتحفانا بشعراء غير هذا ويعطيانا الكثير من عصارة عقليهما وقلبيهما.

ولقد زاد المؤلّفان بعض النصوص في اللغة العربيّة ليقف القارئ على قيمة شاعرية الشيخ مجذوب.

ا. ع. خ.

Tedzkiret en-Nisiān fī akhbār es-Soudān, trad. fr., texte arabe édité par O. Houdas, Libr. Adrien-Maisonneuve, Paris 1966.

هذا الكتاب طبعة ثانية مصدّرة عن الأصل الذي ظهر في سني ١٩١٣–١٩١٤. لا نجد فيه تاريخاً بحصر المعنى. هو قاموس ينبئنا عن حياة الباشاوات الذين تتالوا في طمبكتو من سنة ١٥٩٠ الى سنة ١٧٥٠ ولكنه يُعطينا بعض الشيء عن عدد من الشخصيّات السودانية بصورة عابرة. سار المؤلف على حروف المعجم. انما نرى في كتابه ما يدعو الى الغرابة. فلمّا كان لا يرى في تاريخ السودان الاّ الباشاوات ومقدرتهم في تكوين

البلاد وحمايتها من الغزو والتلف بدأ قاموسه بحرف الجيم لأن من استولى على السودان هو الباشا جودر .

عاد المؤلف مرات الى ذاكرته والى الوثائق الاولية واستقى منها مما استقى ليُعطي كتابه ميزة شخصية يُشكر عليها . إنما الاسلوب الذي اتبعه المؤلف يترك في نفس القارئ بعض الملل .

وفي الفهارس التي تزين الكتاب معين للقارئ لتتبع الأمور التي يريدها من تاريخ السودان . وكل ذلك في طبعة أنيقة .

ا. ع. خ.

GASTON SALET, S.J.: *Brèves réflexions sur le Credo*, P. Lethielleux, Paris 1965, 208 pp.

نجد في هذا الكتاب الصفات التي تميّز بها المؤلف (رحمه الله) في كتبه كلّها : تملك على ناصية اللغة . بسط العقيدة بوضوح كلّي . ايجاز في التوسيع . عودة دائمة الى الوضعيات ; واتصال مستمر بمفكّري اليوم .

ففي هذه المحاضرة الوجيزة يستطيع القارئ أن يتعمق بحقائق الايمان وان يعود الى نفسه ليتساءل عن صحة حياته بازاء العقيدة المسيحية ; وان يسمو الى صلات توحّد إرادته بارادة الله . ب. ل.

HENRI BARRÉ, C. S. S. P., *Trinité que j'adore...*, éd. P. Lethielleux, Paris 1965.

هناك لاهوت شرقي ولاهوت غربي ; هناك بالاحرى وجهات نظر لأن سرّ الثالوث الأساسي لم يدرس من الوجهة نفسها . انما تتصل الوجهتان اذا ما عادتا الى الاسس الكتابية التي توضح الصلة بين الأقانيم والتي يتفهّمها بازدياد عصرنا الحاضر . وان المبادئ الاساسية التي وضعها توما الاكويني تسمح لنا بمؤالفة الوجهتين .

كان توما مهتمّاً بوجود المبدأ الذي يؤكد التمييز بين الأقانيم الثلاثة ولقد الحّ على وحدة طبيعتهم الالهية . ولكن التحاليل التي أعطاها للحياة العقلية وللحياة الارادية تدلّ على ان هذه الصلات هي ايضاً صلات شخصية بين اقانيم تقوم على المعرفة والمحبّة . فالوحدة اذاك تبدو بين الاقانيم الإلهية كشركة متبادلة تحمل الاقانيم تلك على التداخل إلى وحدة الطبيعة .

وبما ان المسيح في « الصلاة الكهنوتية » يدلّنا على أن وحدة الاقانيم هي مثال وحدتنا وينبوعها فان حياة النعمة ووحدة الكنيسة لتظهران كشركة الأقانيم الثلاثة وبين بعضنا البعض في المسيح والروح .

وإن هذا الكتاب بما أنه ليس عرضاً لاهوتياً كاملاً قد توقّف عند التقارب بين المسيحيين الشرقيين والغربيين في تأويلهم الكتاب المقدّس .

ب . ل .

Mariologie et œcuménisme, doctrine mariale de l'Eglise orthodoxe et influence sur l'Occident, éd. P. Lethielleux, Paris 1962.

خمسة دروس ضمّنها المؤلفون ما رأوه موآتياً لتتقرّب بين الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية فتدارسوا دور مريم العذراء كمثل للروحاني وللرسول حسب اللاهوتي العظيم اوريجنوس . وانتقلوا بعد ذلك الى ما اعطاه الشرق في اللاهوت المريمي من ميزات شخصية . واعطوا بعد ذلك الملاحظات الوافية عن مريم وسرّ الخلاص وعن دور مريم في الحياة الارثوذكسية التقوية واخيرًا انتبهوا الى درس دور الشرق في التصوير الغربي المريمي .

لا نغالي اذا قلنا أن هذه الدروس تُعطي القارئ نفحة جديدة وتوسّع آفاق تفكيره اللاهوتي ولقد انتفع المجمع الفاتيكاني الثاني في دستوره العقائدي عن الكنيسة من توجيه الشرق لدرس دور مريم العذراء داخل سر الفداء .

أ . ع . خ .

ÉMILE BRUNNER: *La doctrine chrétienne de Dieu*. T. I, *Dogmatique*; t. II, *La doctrine chrétienne de la Création et de la Rédemption*, éd. Labor et Fides, Paris 1964, 376 + 424 pp.

ثروة لاهوتية وروحية ضمّنها المؤلف هذين الكتابين اذ درس في المجلد الاوّل ضرورة العقيدة وغايتها . فحلّل مفهوم الشهادة ومفهوم تحديد العقيدة لاهوتياً وصلة الايمان بالعقل وفي كل هذا عودة مستمرة الى الكتاب المقدّس وجمع بين التفكير اللاهوتي والنصوص الكتابية فاتى هذا المجلد الاوّل غني بثروة كبرى فيها غذاء للعقل وقوت للروح يحيي الايمان ويعطيه الأسس الإنسانية في توطيد دعائمه . ولقد اجاد المؤلف في تفكيره اللاهوتي في ان لا يبتعد عن التطوير التلسفي الحديث . ولا عجب في ذلك فان

تأثير الفلسفة على ايجاد التعابير الضرورية لعقيدة واضح وتأثيره خاصة في فهم بعض النقط العقائدية بصورة تنطبق على تقلبات المجتمع .

وفي المجلد الثاني يتوسع المؤلف في اثني عشر فصلاً بتحليل . فكرة الخلق وحقيقتها . في الانسان وصلته بالخلق ، في الانسان الخاطئ : في نتائج الخطيئة . في القوى الملائكية والشيطان : في العناية وادارة الكون . في تاريخ الخلاص . في كمال الزمن . في الاسباب التي تحملنا على الايمان بالمسيح . في الفداء . في شخص المسيح يسوع .

في هذه الفصول كلها يجدد المؤلف التفكير اللاهوتي باعطائه أسساً كتابية وتوجيهية الى عقول المعاصرين الذين عليهم ان يفهموا فيرعووا وان يجددوا هم ايضاً حياتهم بحسن تفكيرهم وبفهم ما عليهم ان يفهموه ليقوموا بواجب الايمان الحي .

مجلدان — مكتبة . ثروة لاهوت وتاريخ وكتاب مقدس ونفسانية معاصرة إلى غير هذا من الميزات التي اتصف بها المؤلف واعطاها صبغة تروق القارئ . ا . ع . خ .

KARL BARTH: *Dogmatique.* 3e vol., *La doctrine de la Création;* t. IV, vol. 2, éd. Labor et Fides, Genève 1965, 412 pp.

كل صفحة من هذا الكتاب تحمل ثروة تفكير ووجهات نظر وروحانية صادقة . فلقد تطرق المؤلف في مجلده هذا الضخم الى درس عقيدة الخلق من خلال حرية الانسان في الحياة وحدود تلك الحرية . فأتى في القسم الاول على التقسيم التالي : احترام الحياة وحماية الحياة والحياة العملية . وفي الفصل الثاني تكلم المؤلف على الظرف الاوحد للحياة وعلى المهنة والشرف .

نرى من خلال هذا التقسيم ان المؤلف ، بعد ان درس بصورة عقلية اوسع في ما سلف من كتبه عقيدة الخلق بالذات توصل في كتابه هذا الى بعض التطبيقات العملية الناتجة عن الأسس الأولية التي وضعها في كتبه السالفة .

ولئن نشعر من خلال السطور بعقل يفكر ويحلل وبقلب ينبض بايمانه الحي وبسعة اطلاع كتابي وفلسفي فاننا لنرتاح الى قراءة كتاب كهذا لأنه يشبعنا ويسير بتفكيرنا الى اعمق ما فينا ويجبرنا على الإنتباه لامور رأيناها مرات ولم نبال بها ، لحوادث الحياة الوضعية كالصحة والمرض

وفرح الحياة والقتل والانتحار . وعقوبة الموت والحرب والشغل الخ . فيُلقي على كل هذا نور الايمان الصحيح .

ا . ع . خ .

JEAN MÉCÉRIAN: *Expédition archéologique dans l'Antiochène occidentale*, coll. « Recherches », Imprimerie Catholique, Beyrouth 1965, 144 pp.

إنّ الدقّة التي بها يصوّر المؤلف حلقات رحلته العلميّة إلى المنطقة الانطاكية لتحملنا . ونحن نقرأ الكتاب الذي نحن بصدده ، ان نشعر باننا في معيّته نرى وننقّب ونبحث ونتساءل ونُعطي بعض الحلول لصعوبات تعترض . ولقد ترافق هذه الدقة الصور التي وضعها المؤلف بين طيّات الكتاب وزاد عددها على ما يأمله القارئ وكأنّه رويداً رويداً يتسلّق الحائط او يدقق في نحت أو في قراءة حروف قديمة حفرت في الصخر . وعلاوة على هذا ايضاً فلقد أرفق المؤلف كتابه بخوارط تسهّل علينا اتباع ما يقوله عن المناطق التي تجول فيها .

ولقد قسم المؤلّف كتابه هذا إلى قسمين وضع في القسم الأوّل خمسة فصول رافقته فيها بعد مقدمة أودعها ثبتاً للعلماء الذين من قريب أو بعيد اهتموا للمنطقة التي يدرسها ثم انتقل من انطاكية الى سلوقية ثم من انطاكية الى الضفة اليمنى من العاصي ثم الى الضفة اليُسرى وفي الفصل الخامس من انطاكية الى جبل كاسيوس . امّا القسم الثاني فيُعنى بكنيسة القديس توما الأرمنية الجيورجيّة وفيه خمسة فصول .

كان المؤلّف بطيئاً في البحث انّما كان ذلك البطء عن رويّة ودراية يضع في ما يكتبه حصيلة ما كان يأمله من جدّه واجتهاده . فكان يُعطي بغزارة وبتمحيص يجعلان ما تخطّه يراعه واسع الآفاق وطيد البرهان .

ا . ع . خ .

PAUL KHOURY: *Paul d'Antioche, évêque melkite de Sidon (XIIe s.)*, coll. « Recherches », Imp. Cath., Beyrouth 1964, 219 + 101 pp.

منّ مشاهير لاهوتيي العصر الثاني عشر . كتب بولس أسقف صيدا والّف كثيراً وكان رائده خاصّة الجدل والحوار اللاهوتي . فتكلّم بلغة على المنقّب ان يدرسها بدقّة ليرى التأثير الّذي تأثرت به والتطوّر الذي توصّلت اليه بين مدّ وجزر ، بين فلسفة اسلامية كانت في اوجها وتأثير بيزنطي

لم يكن قد توارى. وهذا فيعطينا المؤلف درساً مسهباً عن بولس الأسقف يدعمه بالبيّنات وبعدئذ ينتقل الى جمع مؤلّفاته ثمّ الى تصوير تلك المؤلفات ومن بعد ذلك الى تحليل نقط ومبادئ الحوار اللاهوتي الذي خاضه.

يعطينا المؤلف في نهاية درسه خمسة نصوص مع ترجمتها كان بولس الأسقف ألّفها ليجاوب على بعض الإعتراضات أو ليدلّل على صحة الدين المسيحي وقد توقّف بصورة خصوصية على مسألة التوحيد والاتحاد وهو يجادل مسلمين ويهود.

الترجمة الفرنسية صحيحة. ولقد اجتهد الناشر أن يعطينا نصّاً عربياً مبنياً على اختيار القراءات التي رآها وافية الموضوع. وكلّ ذلك بدقّة العالم ونباهة المنقّب.

كنّا نودّ ان يضع المؤلف في آخر كتابه معجم الكلمات العلمية التي استعملها بولس الاسقف أكانت من ابتكاره أم يكون وجدها في محيطه. لكان إذاك توصّل الى خدمة اوسع ونجح في تنبيه الخواطر الى تطور اللغة اللاهوتية – الفلسفية في عصر من العصور. ونحن ندرس اليوم تاريخ الكلمات وتاريخ الفكر : نودّ أن نقف على ما كانت عليه اللغة في العصر الثاني عشر. ا. ع. خ.

S. DE LAUGIER DE BEAURECUEIL, O.P.: *Khwādja 'Abdullāh Anṣārī* (396-481/1006-1089), *mystique ḥanbalite*, coll. « Recherches », Imp. Cath., Beyrouth 1965.

يتتبّع المؤلف حياة الانصاري منذ ولادته حتى مماته بدقّة وبساطة. وكأني باسلوب المؤلف يطابق على حياة عبد الله الانصاري لما فيها من البساطة والعمق في الوقت نفسه. فلقد حمّل نفسه مشقّات السفر والغربة وأبهج عقول معاصريه بما اتّصف به من غريب الذكاء وحدة التفكير وقد كانت الصعوبات تراكمت عليه وصار بعد ذلك إلى الخلاص والإنتصار وصعد إلى أوج المجد الى ان وافته المنيّة أميناً.

يجد القارئ في هذه الصفحات وضوحاً على عمق وسلاسة على دقّة وإننا لنهنئ المؤلّف على ما ضمّنه هذه الصفحات من دروس أجبرته على الاطلاع الواسع.

في القسم الثاني من الكتاب نشر المؤلّف قصائد ومناجاة صوفية رائعة. فيها من الروحانية البالغة ومن الفلسفة النفسانيّة العميقة ولا غروّ إذا قابلنا

البعض منها مع ابرع المؤلفين الغربيين في العصور النامية . ولقد كان يهمنا أن نعيد كلام الانصاري الى بيئة تما فيها وعاش واثرت فيه وأن نرى مدى التأثير الّذي تأثر به والذي أثّر على الغير فيه .

كنّا نودّ ان يلحق المؤلف كتابه بثبت للمفردات الروحيّة التي تردّدت في كتابات الانصاري هذه .

ا.ع.خ.

Henri Rollet: *Les laïcs d'après le Concile*, coll. « Christianisme de tous les temps », Éd. de Gigord, 15, rue Cassette, Paris 1965, 301 pp.

تبضع حكيم يقوم المؤلف بتحليل الأوضاع في الجيل العشرين وبثقة المؤمن يرى كيف ان الله يعمل من خلال التطوير كلّه الذي نراه والذي يبدّل الكثير من التقاليد . ويقف المؤلف خاصة عند دور العلمانيين الذي اكتشف في حضن الكنيسة ورسالتهم في عالم اليوم . فيرى ان اليوم يوم رسالة في عالم ابتعد ظاهرًا عن خالقه وهو يطمح الى رؤياه الحقيقية ويطلب الى العلمانيين . وهم يعايشونه في كل مظاهره، ان يقوموا بخدمته وان يعملوا من اجل الآخرين وان يكونوا حاضرين في التطوير الإنساني الذي نراه وان يعملوا أيضاً مع الكنيسة ليكونوا روح العالم الذي بها ينتشّ الحياة .

هذه هي الفصول التي ضمّنها المؤلف كتابه . وفي كلّها اختبار الحكيم وثقة المؤمن في عالم خلقه الله ولا يزال يقوده بين ازمات وأعاصير الى هدفه . وعلى كلّها يهيمن وجه المسيح الذي ينير طريق الكنيسة الى خدمة اوسع في تجديد وفتوّة لا تزيل .

ا.ع.خ.

Dr Paul Chauchard: *Vocation chrétienne de l'homme d'aujourd'hui*, coll. « Christianisme de tous les temps », Éd. de Gigord, Paris 1965, 252 pp.

لا انفصال بين النفس والجسد والانسان وحدة تعمل في عالم اليوم وعلى هذا الانسان ان يقدّس العالم بما فيه من مادة وجنس وطبيعة واميال الى ما هنالك ممّا يجرّ الانسان الى أسفل . كل ذلك يجب ان يقدسه المسيحي بكل ما أوتي من نعمة خلاقة في العباد .

فالكنيسة اليوم في حوار مع العالم . والدين المسيحي لا يقف ابدًا ضدّ الجهد الذي يقوم به الانسان لتفهم العالم تفهماً علمياً وللسيطرة عليه

بواسطة التقنية والسيطرة على الحياة والروح . الدين المسيحي يعطي هذا كله معنى وغاية .

وهذه المواجهة العميقة بين المادة وثرواتها وبين الحرية الانسانية والله الخالق تضطر المسيحي الى جهد عميق في العودة الى الأصول التي تحمله على فهم العالم فهماً صحيحاً وكلياً .

فالعلم يقود الى اكتشاف وجه الاله المنزّه الحقيقي : الحاضر في خليقته وفي أنسنة العالم انسنة حقيقية واضحة خصبة . العلم لا يقود الى المادية .

هذه هي الافكار التي يحللها المؤلف في الفصول المشعة من كتابه وفي كل فصل روعة روح مسيحية تحيي العصور وتجعل القارئ يتحسس ما يشعر به المؤلف نفسه . ا.ع.خ.

KARL RAHNER: *Ecrits théologiques*, vol. 5 et 6, Desclée de Brouwer, Tournai 1966.

مجموعتان يزيدهما اللاهوتي الكبير على المجلدات الأربعة التي سبقت فحملت بين دفتيها علماً وسعة آفاق وعمق تفكير وتجديد وجهات نظر كلها اجتمعت متآخية في رجل واحد يحلق في النظريات ويعطيها من اختبار الحياة ومشاكل الانسان ما يجعلها تنبع من الوضع القائم وتنيره بالمبادئ الأبدية التي علمها المسيح الاله لكنيسته .

ففي هاتين المجموعتين دروس مختلفة عن وحدة الجنس البشري وعن الحرية خاصة وعن اللاهوت الجمعي والتوبة وغيرها ما يعطينا أن نقدر الآفاق التي يفتحها امامنا لاهوتي كبير لم تغب عنه معرفة الكتاب المقدس واقوال الآباء عبر التاريخ ولا تطوير الأفكار اللاهوتية المسنودة الى تطلع الفلسفة الى المستقبل في شخصانية فعالة والدفاع عن الانسان في مراحل حياة عقله وارادته .

يصعب علينا أن نعطي درساً محللاً عن كل مقال موجود في هذا الكتاب انما يجد القارئ في كل من هذه الدروس ما يشبع تفكيره وطموحه إلى تجدد في النظرة اللاهوتية الى الأمور .

ا.ع.خ.

L'étudiant et la religion, éd. Desclée de Brouwer, Tournai 1966, 320 pp.

لا يتوصّل الانسان بسهولة الى اكتشاف العاطفة الدينية في قلب بشر. ولا يتوصل بسهولة إلى معرفة البيئة الطلابيّة : فالمحيط يتبدّل والاجيال تتلو الاجيال ويتساءل الانسان : ما هو دور الدّين في حياة الطالب؟

وفي هذا الكتاب سؤال مستمر من الدفة الى الدفة الاخرى : تنقيب عن الاحصاءات في شتّى النواحي. وتفتيش عن مشاكل الطلاب. وبعض الأجوبة والحلول. وفي هذا القسم الاخير يتبارى اساتذة من مختلف التوجيهات الى سبر غور الحالة الطلابية وأعطائها بعض النّور.

وهذا وان كانت قراءة هذا الكتاب صعبة في بعض المقاطع لأنها توقف القارئ على حسابات واعداد فانها لتعطيه صورة حيّة عن حياة الطالب اليوم ونفسانيته. وما نشاهده في بلاد الغرب من ازمة طلابية بازاء الدين ومظاهره هكذا يرى المنقّب في بلادنا الشرقية مثل هذه الازمة : لم تذرّ قرونها بعد انما تبدو صعبة ومخيفة. ا.ع.خ.

R. Schnackenburg - K. Thieme: *La Bible et le mystère de l'Eglise*, éd. Desclée de Brouwer, Tournai 1964, 197 pp.

التجديد في درس كنه الكنيسة التي اسّسها المسيح الاله يتأصل في العودة الى الكتاب المقدس والى التقليد في الاجيال الاولى لحياة تلك المؤسسة الالهية الانسانية والتي هي في كنهها سرّ والسرّ الاوحد الذي ينتج عن حياة الثالوث الاقدس. حياة محبّة وعطاء.

قسم المؤلفان كتابهما الى قسمين درس فيه الاول ماهية الكنيسة وسرّها في العهد الجديد وفي القسم الثاني يعطينا لك. تيم تحليلاً وافياً عن سرّ الكنيسة والنظرة المسيحية إلى شعب العهد.

وفي كلا القسمين عودة مستمرة الى النصوص الكتابية مع القاء نور روحاني عليها لتتفهّمها حسبما أرادها الله. وهذا وان صعب على الناقد حصر هذه الصفحات المملوءة علماً وروحانية في بعض السطور دون ان يحلّلها التحليل الوافي فيجدر بنا ان نهنّئ المؤلفين ونحثّ من يصل اليه هذا الكتاب ان يطالعه ويعود اليه. فيه ثروة وعمق وتفتّح الى آفاق جديدة لم يكن يعرفها. ا.ع.خ.